تأملات في سورة النجم

برنامج التدبر: الملزمة الثالثة عشر

جمع وإعداد:
نجلاء السبيّل

مقدمة

بسم الله، استعنا بالله، ولا حول و لا قوة إلا بالله

اللهم سددنا في أقوالنا وأعمالنا وأصلح ظواهرنا وبواطننا

واجعلنا مخلصين مخبتين أواهين منيبين، اللهم ارزقنا ثبات القلوب وسكينة الإيمان وانشراح الصدور..

اللهم خذ بمجامع قلوبنا إليك ، ألهمنا رشدنا وأعذنا من شرور أنفسنا...

وأرحم ضعفنا في زمن الغربة،

أنت ربنا وحسبنا الوكيل...

نبدأ هذا اللقاء وهو عن تفسير سورة النجم بحديث له علاقة وطيدة بالسورة

في الصحيحين من حديث ـ أبي موسى رضى الله عنه ـ قال قال رسول الله "إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا ،وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لاتمسك ماء ولا تنبت كلأ ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلِم وعلَّم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به".[1]

هذا الحديث فيه مثل بديعٌ عجيب...

مَثَّل الرسول ﷺ مابعثه الله به من العلم والهدى كمثل غيث..!

◄ ونلاحظ هنا قول [غيث] وليس مطر لماذا؟ ما الفرق؟

الفرق أن المطر قد ينزل دون حاجة ملحة لنزوله، فدول شرق آسيا على سبيل المثال ينزل فيها المطر بشكل متواصل مستمر وربما تمنى البعض لو توقف...!

بينما الغيث هو الذي ينزل على حاجة ، الكل ينتظره،والكل يحتاجه، يترقب نزوله لأنه يُغيث، يسقي، يروي ، يحيي.

كان الناس قبل بعثة النبي ﷺ أشبه بالأموات، نعم لهم عقول و أسماع و أبصار .. يتحركون .. يأكلون .. يتنعمون لكنهم في شرك وحيرة وتخبط حتى أغاثهم الله بالوحي الذي جاء به النبي ﷺ.

إذاً : حال الناس بلا علم ولا وحي ولا هدى، كحال الأرض بلا غيث..!

وكما أن الأرض تختلف في استقبالها للغيث، وذلك حسب نوعية الأرض ونوعية التربة، وكذلك الناس في استقبالهم وانتفاعهم بهذا الوحي والعلم، هم يختلفون حسب .."نوعية قلوبهم"..!

---

[1] صحيح البخاري (79) / ومسلم (2282).

هذا الحديث به ثلاثة أنواع من الأرض، يقابلهم ثلاث أصناف من البشر:

- **الطائفة الأولى: (طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير)**

إذن هي أرض طيبة نقية حفظت الماء، ليس هذا فحسب بل أنبتت كلأ وعشبا بمعنى أنها أرض خصبة شربت الماء فأزهرت وأينعت وأثمرت وأخرجت زروع ومحاصيل وفواكه ورياحين وكل ماهو جميل.

وهذا مثل من تعلم العلم وانتفع به وتفقه به ثم بدأ يعلمه للناس وينفعهم به، فهو يصنف، يؤلف، يحاضر، يدرس، يفتي، يأمر بالمعروف ينهى عن المنكر، له أثر عظيم.

هذا الصنف من البشر هم **.."غذاء القلوب"..**، يُحيي الله بهم الأرواح والقلوب، بل إن حاجة الناس لهم أكثر من حاجتهم للغذاء والشراب.

وأعظم وأبرك ثمرة يثمرها العلم على هذا الصنف ،عليهم هم في أنفسهم وذواتهم أنهم لا ينقطعون ولا ينفكون عن المجاهدة.

هذه المنزلة العظيمة من منازل السائرين إلى الله.

فهم يجاهدون أنفسهم المثبطة عن الخير، ويجاهدون الشيطان كذلك، عدوهم الأول الذي قال الله جل وعلا في كتابه الكريم عنه:

﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ﴾..

ولو توقفنا قليلا عند هذه الآية وتأملناها....

إنَّ : حرف توكيد.

الشيطان : سمى الله هذا العدو باسمه الظاهر "الشيطان".

كان : تدل على الدوام والاستمرار الذي لاينقطع.

للإنسان : تشمل كل الناس، أشقى الأشقياء، وأتقى الأتقياء وأعلم العلماء.

عدواً : خصم شديد العداوة، لو قالها واكتفى بها لكفى، لكنه أكمل وقال (مبينا).

مبينا : وصفه بأنه مبين ، أي بين وواضح العداوة ، لايشك أحد في عداوته.

◄ فإذن ما من طريق يسلكه الإنسان إلا وقعد له الشيطان فيه وأغلقه عليه، لماذا؟

لأنه يعلم أن سعادة الإنسان في طاعته لربه لذا لا يترك بابا للطاعة سواء كان إقبال على علم، قيام ليل، حفظ قرآن، مشاريع، صدقات، عفو، إحسان، إلا ويحاصره بالتثبيط والمصاعب والشواغل و الصوارف حتى يغلق عليه الباب وهذا من عداوته الشديدة للإنسان.

ولكن العلم المستقر في قلوبهم يجعلهم يفهمون جيداً مكر هذا العدو وحبائله وتربصه ويعلمون في المقابل أن الجنة حفت بالمكاره، كما أخبر النبي ﷺ في الحديث الصحيح [حُفَّتِ الجنَّةُ بالمَكارِهِ، وحُفَّتِ النَّارُ بالشَّهواتِ].[1]

ومن هذه المكاره الضيق والثُقل والتكاسل الذي يجده الإنسان عند الطاعة قبلها أو أثناءها

ولكنهم بمجرد أن يشعروا بهذا الضيق مباشرةً يتحاملون على أنفسهم ، يجاهدون .. يقاومون و يذكِّرون أنفسهم بأن الجنة حفت بالمكاره، وأن أجر العامل في هذا الزمان وهذه الأيام _أيام الصبر_ أجر خمسين، [قالوا يارسول الله منا أو منهم؟ قال: بل منكم، فإنكم تجدون على الحق أعوانا وهم لا يجدون على الحق أعوانًا][2] ،

فأعظم الناس أجراً في طاعة الله من كثرت همومهم قبلها .. من أُغلقت الأبواب في وجوههم إلا أنهم مازالوا مصرين على ماعند الله، مُصرين على مرضاة الله.. على محبة الله .. على أن يبقوا لايبرحوا العتبة حتى يُفتح لهم الباب وهم مع إصرارهم وتحاملهم على أنفسهم يعلمون أن الله يرفع درجتهم بهذه المجاهدة .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :[ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟ قالوا بلى يا رسول الله قال : إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط][3] .

---

[1] صحيح البخاري.

[2] صححه الألباني بمجموع طرقه .

[3] رواه مسسلم.

◄ ذكر في هذا الحديث ثلاثة أعمال:

(إسباغ الوضوء على المكاره) و (كثرة الخطا إلى المساجد) و (انتظار الصلاة بعد الصلاة،)

كلها أعمال تحتاج إلى عزم وإصرار وتحامل على النفس،

وكما يقول العلماء: والله لن يقوم عبدٌ لله ويتحامل على نفسه إلا فتح الله في وجهه أبواب الرحمة بقدر ذلك الجهاد الذي جاهده..

أليس الله يقول: ﴿ إِنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنكُم مِن ذَكَرٍ وأُنثَى﴾ .

وهذا من أبرك ثمرات العلم عليهم في أنفسهم، أنهم لا ينفكون ولا ينقطعون عن مجاهدة أنفسهم والشيطان..

هؤلاء هم الصنف الأول: أصاب الغيث قلوبهم فارتوت قلوبهم، هم أحياء في أجسادهم وقلوبهم لذا استطاعوا أن يرووا غيرهم، استطاعوا أن يأخذوا بأيدي غيرهم وأن ينشطوا العزائم ويرفعوا الهمم ويأخذوا العباد إلى ربهم فينفع الله بكلماتهم فكانوا كالغيث.

2- الطائفة الثانية: [أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا]..

هذه الأرض اختزنت وحفظت الماء ، الأرض هنا نافعة لكن نفعها أقل من الأولى، لاتنبتُ كلأ ولا عشباً ولا محاصيل ولازروع إنها فقط تجمع الماء وتمسكه كالعيون والآبار التي يرد الناس والدواب عليها .

فذلك كمثل من يتعلم العلم فيحفظ ويعقل وينفع نفسه ثم يدل الناس على طريق العلم وطريق الدروس والمحاضرات..

إذن هذه الطائفة نافعة لكن نفعها أقل من الأولى التي درست وألفت وأفتت وعلمت وصنفت..

3- الطائفة الثالثة: [هي قيعان لاتمسك ماء ولا تنبت كلأ]..

أي أن هذه الطائفة لا خير فيها ولا نفع، مهما نزل عليها الغيث وأصابها المطر لاتمسك ماء ولا تُنبت كلأ ً..!!

مثلها مثل بعض البشر، مهما سمعوا ومهما حضروا ومهما وعِظوا، لا يصل إلى قلوبهم شيء..! لا حفظ ولا فهم .. لماذا؟

حال الله بينهم وبين قلوبهم والعياذ بالله...

الله لا يعطي العلم والهدى والنور و الهداية والسبق والخير إلا لمن يُريدهُ و يبحث عنه، ويحرص عليه وكما يقول أهل العلم **(لابد أن يكون المحلُّ قابلًا)** ..

كلما كان المحل قابلا ملأه الله بالخير والعلم ﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى﴾

وهكذا وضَّح لنا الحديث الشريف ثلاث أصناف من البشر، وكيف كان استقبالهم وانتفاعهم وقبولهم لهذا الوحي ولهذا العلم الذي جاء به النبي ﷺ، وهذة هي العلاقة بين الحديث وبين سورة النجم.

سورة النجم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا
يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ (٣) إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ (٤) عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ
ٱلۡقُوَىٰ (٥) ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ (٦) وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ (٧) ثُمَّ دَنَا
فَتَدَلَّىٰ (٨) فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ (٩) فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ
أَوۡحَىٰ (١٠) مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ (١١) أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ
(١٢) وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ (١٣) عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ (١٤) عِندَهَا
جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ (١٥) إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ (١٦) ﴾

علوم السورة

*سورة النجم سورة مكية، نزلت في أوائل العهد المكي.

*سميت النجم لورود لفظ النجم في مطلعها ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ١ ﴾

*وهي أول سورة نزلت فيها سجدة..

كما في صحيح البخاري عن عبدِ اللهِ بن مسعود رضي اللهُ عنهُ قال : أوَّلُ سورةٍ أُنْزِلَتْ فيها سجْدَةُ ﴿ وَٱلنَّجۡمِ ﴾ قالَ : فَسَجَدَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وسجَدَ مَنْ خَلْفُهُ إلا رجلا ، رأيْتُهُ أخذَ كفًّا من تُرَابٍ فسَجَدَ عليهِ ، فَرَأَيْتُهُ بعدَ ذلكَ قُتِلَ كافرًا ، وهوَ أُمَيَّةُ بنُ خَلَفٍ[1].

*هذه السورة أتت بحقائق عظمى و كبرى، تكلمت عن آيات و معجزات باهرة وعظيمة بأسلوب لغوي متين جدًا، يمتازُ بالقصر الشديد في الجُمل والآيات ..

وهذا مما يدهش القارىء المتدبر أو المُستمع لكتاب الله.

فبالرغم من قصر الآيات وقلة الكلمات إلا أنها تتضمن إخبارا عن معجزات وحقائق كبرى..!

- **مقصود سورة النجم:**

الوحي وإثبات صدقه وحقيقته ، من الذي نزل به، وكيف تلقاه النبي ﷺ ، وكيف حمى الله هذا الوحي ، وتهافت عقيدة الشرك واسقاط آلهتهم المزعومة.

وقد وصفت لنا سورة النجم أيضاً مشهدين من مشاهد رؤية النبي ﷺ لأمين الوحي جبريل عليه السلام.

- **بدأت السورة بالقسم : ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ١ ﴾.**

النجم: اسم جنس يعم جميع النجوم وهذا الراجح، فهي أجسام مشعة منيرة زين الله بها السماء وجعلها كالمصابيح.

---

[1] صحيح البخاري (4863) .

العرب كانوا يعرفون النجوم ومنازلها وأسماءها كالثريا مثلا، وكانوا يعلمون أن النجوم مخلوق عظيم و آية عظيمة من آيات الله. وينتفعون بها في أسفارهم وزراعتهم ومواسم أمطارهم.

◄ في هذه الآية هل أقسم الله بالنجم مطلقا، أم في حالة خاصة؟

أقسم الله هنا بالنجم إذا هوى، أي إذا سقط.

هذا النجم المُشِّع المُضيء .. اللامع بقوة حين يخترق سواد الليل في الأُفق البعيد فيسقط على هيئة شهاب ناري تتطاير شظاياه في السماء هنا وهناك ، منظرٌ مهيب وآية عظيمة لها وقعها في النفوس.

◄يأتي السؤال المهم: لماذا تسقط النجوم؟

ـ هذه النجوم تسقط رجوما للشياطين.

كما في سورة تبارك: **﴿ وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ٥ ﴾..**

سورة الصافات : **﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ٦ وَحِفۡظٗا مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ ٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ وَيُقۡذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٖ ٨﴾.**

هي تسقطُ على من استرق السمع فيكون سقوطها سقوط عذاب ومتابعة لهؤلاء الشياطين من الجن ، فتُحرقهم وترجُمهم وهذه آية لحفظ < الوحي >.

◄ ولكن لماذا كان الجن يسترقون السمع؟

الكهانة كانت معروفة ومنتشرة بصورة كبيرة في جزيرة العرب وكان العرب يُعظمون الكُهان ويرجعون إليهم ويأخذون بكلامهم ويخافونهم أيضاً.

لأن الكهنة يخبرونهم عن أمور غيبية سواء في الماضي أو المستقبل ، وكيف كان الكهان يعرفون هذه الغيبيات ؟ عن طريق الجن واستراقهم السمع.

بيّن الرسول ﷺ هذا الأمر في حديثه الذي رواه البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال:] الملائكة تتحدث في العنان - والعنان الغمام -

بالأمر يكون في الأرض، فتستمَع الشياطين الكلمة فتقُرَّها في أذن الكاهن كما تقُرُّ القارورة، فيزيدون معها مائة كذبة].

الجن يركب بعضهم فوق بعض ثم يسترقون السمع ويسمعون الخبر من السماء ثم يُخبرون به الكاهن الذي يحدث الناس به ويُكذب معه مئة كذبة.

فلما بُعث النبي ﷺ مُلأت السماء حرسًا شديدًا وشهبًا، فإذا أرادَ أحد هؤلاء الجن أن يسترق السمع أتاهُ شهابٌ ثاقب فأحرقه.

حمايةً لهذا الوحي وهذا القرآن ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾.

ما وجه الشبه بين النجم والوحي ؟

1-الوحي: هو كلام الله المنزل من السماء على قلب محمد ﷺ في الأرض

ويشبه في نزوله نزول النجم من السماء إلى الأرض.

ولو تخيلنا المشهد أمامنا نجم لامع مضيء منير يخترق سواد الليل في الأفق البعيد ثم ينزل على هيئة شهاب ناري تتطاير شظاياه في السماء ، وكما أن النجم يأتي بأسرار عالم الفضاء الخارجي كذلك الوحي يأتي بأسرار الملأ الأعلى..

وهذه صورة من صور التشابه، والمناسبة بين افتتاحية السورة ومحورها.

2- أيضا النجوم نورٌ وزينةٌ وجمالٌ في السماء..

وكذلك الوحي نورٌ في القلوب، القرآن نور وقراءته نور وحروفه نور. وكل من اقترب من هذا القرآن اغترفَ من هذا النور.

وكما أوصى رسولنا ﷺ أبا ذر حين قال له (عليك بتلاوة القرآن ، فإنه نور لك في الأرض ، وذخر لك في السماء)[1]...

3-النجوم يُهتدى بها ﴿ وبِالنَّجمِ هُم يهتدون﴾ .. وكذلك الوحي يُهتدى به، بل هدايته أعظم بكثير من هداية النجوم.

---

[1] رواه ابن حبان في صحيحه في حديث طويل ، وحسنه العلامة الألباني في " صحيح الترغيب والترهيب ".

4-العرب كانوا يطمئنون للنجوم، فهم يهتدون بها في أسفارهم في زروعهم وأمطارهم وتنقلاتهم، كانوا يطمئنون لها ويشعرون معها بالأمان لأنها لاتتغير ولا تتبدل ولا تخلف المواعيد..

وكذلك الوحي عصمة وحفظ وأمان وسكينة وطمأنينة لمن استمسك به.

هذه بعض أوجه الشبه بين الوحي والنجم

والمتدبر لكتاب الله لو أراد لأخرج كثيرا من صور التشابه من ناحية العظمة و العلو و الثبات وغيره.

بدأت السورة بالقسم،وجواب القسم هو : ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢﴾

أي أن هذا الكلام الذي جاء به محمد ﷺ لم يتكلم به عن نفسه ولم يكن به ضالًا ولا غاويًا، وهناك فرق بين الضلال والغواية..

فالضال: هو الإنسان الذي لا يعرف الحق، بل ضل عن جهل و غفلة.

أما الغاوي: الإنسان الذي يعرف الحق لكنه قدم الباطل عن قصد وعن عمد.

وقد زكى الله نبيه ﷺ و نفى عنه الضلال والغواية ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢﴾ولننظر إلى لفظ ﴿ صاحبكم﴾ ودلالته هنا، صاحبكم أي أنكم صحبتموه وعرفتموه حق المعرفة، عرفتم أمانته عرفتم رجاحة عقله بل كنتم تزكونه وتنادونه بالصادق الأمين، ماجربتم عليه خيانة بل ولا كذبة واحدة حتى في الجاهلية، فمن لم يكذب في كلام البشر أيعقل أن يكذب في خبر السماء..! مالكم كيف تحكمون.

قلتم وافتريتم عليه أن ما جاء به سحر وكهانة، بل قلتم شبهة أخرى كما أخبرنا الله في سورة النحل ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ۝١٠٣﴾ (103).

ما قصة هذه الشبهة؟

أن جبر الرومي وهو غلام نصراني في قريش، كان يجلس عند جبل المروة يقرأ في كتب النصارى، وكان رسول الله ﷺ يجلس أحيانا إلى هذا الغلام النصراني فمشركي قريش حين أعيتهم الحيل بعد أن قالوا ساحرو كاهن، ومجنون، قالوا ما يقوله محمد هو من تعليم ذلك الغلام النصراني جبر الرومي..!

وقد تولى الله عز وجل الرد على هذه الشبهة بأبلغ حجة،وأنصع بيان كما في سورة النحل ﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ١٠٣ ﴾. فهذا الرجل الذين ينسبون إليه تعليم محمد صلي الله عليه وسلم هو رومي أعجمي لا يعرف اللسان العربي والقرآن عربي مبين فكيف علمه القرآن؟

وجاء الرد القاطع الفاصل الذي حسم كل هذه الشبهات والأقاويل ﴿ إن هُوَ إلا وَحىٌ يُوحى ﴾ هذا القرآن ليس من كلام بشر، بل هو كلام رب البشر ، كلام الله سبحانه وتعالى أنزله على نبيه ﷺ بواسطة أمين السماء جبريل عليه السلام، ولم ينزل به دفعة واحدة بل نزل منجما _أي: مجزءا مقسما حسب الوقائع والأحداث_

كيف كان ينزل الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم؟

كان ﷺ بداية يسمع صوتا كالجرس، أو كصلصلة الجرس..

وأحيانا كان جبريل يأتي جهارا على هيئة رجل فيبلغه هذا الوحي ،

من هو جبريل عليه السلام ؟ وماهي صفاته؟

لنتعرف على صفات جبريل لابد أن نجمع بين سورتي النجم والتكوير لأن الله وصف فيهما جبريل عليه السلام.

سورة التكوير: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ (١٥) ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ (١٦) وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ (١٧) وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ (١٨) إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ (١٩) ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ (٢٠) مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ (٢١) ﴾.

سورة التكوير هي سورة تحدثت عن يوم القيامة وماذا سيحصل فيه ، ثم ماجاء في ختامها الحديث عن القرآن وسنده ومن أين جاء ومن الذي جاء به ..

أقسم الله فيها بالنجوم وهي:

الخنس: هي النجوم التي تظهر بالليل وتختفي بالنهار

الجواري: هي النجوم التي تجري في الفضاء والكون

الكنس: هي النجوم المستترة والتي تأوي إلى أفلاكها نهارا

والليل إذا عسعس: الليل إذا أقبل بظلامه

والصبح إذا تنفس: الصبح إذا أقبل بنوره وانشق ضوءه.

◄ كل هذه الأقسام على ماذا؟ ما جواب القسم؟

﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴾..

من حمل إليكم هذا الوحي ،، هذا القرآن من السماء إلى الأرض هو رسولٌ كريم.

1- **هو سيد الملائكة** وأفضلهم وقد أوكل الله إليه مهمة إنزال الوحي على جميع الأنبياء وليس نبينا فقط.

2- **ذي قوة:** صاحب قوة شديدة وله مكانة عظيمة عالية عند الله عزوجل، ومما يدلنا على هذه المكانة أنه أول من يسمع كلام الله ووحي الله .

ومن ذلك ما أخرجه البخاري قال: حدثنا الحميدي حدثنا سفيان، حدثنا عمرو قال: سمعت عكرمة يقول: سمعت أبا هريرة يقول: إن نبي الله ﷺ قال: ((إذا قضى الله الأمر في السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله، كأنه سلسلة على

صفوان، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا:ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحق، وهو العلي الكبير، فيسمعها مسترق السمع، ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض - ووصف سفيان بكفه فحرفها، وبدد بين أصابعه - فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدرك الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا: يوم كذا، كذا وكذا! فيصدق بتلك الكلمة التي سمع من السماء))

الملائكة على عظيم شأنهم وعظيم خلقتهم وعلى قربهم من الله عزوجل، فهم خلقوا للطاعة لا يعصون الله أبداً ومع ذلك.. إذا تكلم الله بالوحي ما الذي يحدث لهم؟

ضربت الملائكة بأجنحتها خُضعانا لله، ضربت بمعنى النزول، فالإنسان إذا خضع نزل وتطامن وتذلل تماما وهكذا الملائكة خضعانا وذلا وتعظيما لله..

(كأنه سلسلة على صفوان) صوت الوحي الذي يسمعونه كأنه صوت سلسلة من الحديد تجر على صخر أملس فينفضهم ذلك ويدخل في قلوبهم الفزع والخوف..

وفي رواية أخرى: تأخذهم رعدة شديدة وخوف شديد ويصيبهم الغشي: أي يصعقون ويغمى عليهم حتى يُزال عنهم هذا الإغماء والغشي ..

فيكون أول من يرفع رأسه من الملائكة جبريل عليه السلام، وهو أول من يسمع كلام الله، فيوحي الله إليه بما شاء من أمره ثم يأخذ جبريل هذا الوحي ويمر به على ملائكة السماء، وكل مامر على ملائكة يسألون: ماذا قال ربنا ياجبريل؟ فيقول: قال الحق وهو العلي الكبير حتى ينتهي بالوحي إلى حيث أمره الله، وهذا يدل على مكانة ورفعة هذا الملك عند الله.

3- **هو أول من يعرف محبة الله لأي عبد من عباد الله في الأرض** كما في الحديث عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : (إذا أحبَّ اللهُ العبدَ نادى جبريلَ: إن اللهَ يحبُّ فلانًا فأحبِبْه، فيُحِبُّه جبريلُ، فينادي جبريلُ في أهلِ السماءِ: إن اللهَ يحبُ فلانًا فأحبُّوه ، فيُحِبُّه أهلُ السماءِ، ثم يُوضَعُ له القَبولُ في الأرضِ)[1].

4- **أنه مُطاع:** يطيعه أهل السماء، تطيعه الملائكة.

5- **أمين:** صاحب ديانة، قوي في ديانته، أمين، لايخون ولايبدل ولا يغير في الوحي بل ينزل به كاملا محفوظا.

---

[1] صحيح البخاري.

هذه صفات جبريل عليه السلام من خلال سورة التكوير،

نجمع معها الآن ما ورد في سورة النجم:

﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ۝٦ ﴾.

نلاحظ أن الصفة التي تكررت في السورتين (صفة القوة)..

1-**علمه شديد القوى:** القوى جمع لمفردة القوة وهذا يدل على قوة شديدة، متنوعة وبدايتها قوة جسمية خارقة وهي الخلقة التي خلقه الله عليها كما في الصحيحين من حديث ابن مسعود أن النبي ﷺ رأى جبريل له ستمائة جناح .

وحديث السيدة عائشة رضي الله عنها في صحيح البخاري تصف أن النبي ﷺ راى جبريل في صورته وخلقته سادٌ مابين الأفق.

أي أنه سد مابين السماء والأرض ، ومابينهما مسيرة خمسمائة عام ..!

إذن قوة خارقة في هيئته وجسمه وليست قوة مقتصرة على قوته الخلقية والجسمية بل هو شديد القوى أي متنوع القوى.

2- ذو مرة: معناها في اللغة: شدة العقل وهي مأخوذة من احكام الفتل للحبل

يُقال :(أمرَّ الحبل امرارًا) يعني أحكم فتله..

الصفة هنا: ذو إحكام وإتقان وممارسة وخبرة في التعليم

وقد علَّقَ الدكتور عبد الرحمن حبنكة رحمه الله قال: <ذو مرة: أي أن له قدرة على الفتل والتلوي والمداورة والمعالجة في التعليم حتى يبلغ غاية مايريد في تمكين العلم لمن يعلمه>[1]. وهذا معنى جميل جدا..

ونحن كمتدبرين لكتاب الله ما يهمنا إعمال التدبر في حياتنا، وكيف نصلح أنفسنا بهذا التدبر وهذا القرآن، وأن نضع أيدينا على مواضع الخلل حتى نتغير وتتغير سلوكياتنا للأفضل..

حين درسنا صفات جبريل عليه السلام كان هو في وضع المعلم الذي علم رسولنا ﷺ فكيف نستفيد؟

---

[1] كتاب مدارج التفكر ودقائق التدبر (107/2).

سنأخذ 3 فوائد ووقفات تربوية، نربي أنفسنا عليها لعلنا أن نصل لشيء من هذه الكمالات...

الصفة التي تكررت في السورتين كانت صفة القوة..

- هذا الدين لا يحمله إلا الأقوياء.

هذا الدين لا يبلغه ولاينصره ولا يخدمه ولايثبت عليه ولايحمله إلا أولي القوة والعزم من الناس.

النبي ﷺ أخبرنا أن: [المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف][1] ، وهذا الحديث نحتاجه كثيرا في هذا الزمن وهذا التوقيت بالذات، لأننا في زمن مدافعة بين الخير والشر ..

فكثيرٌ هم ممن يخططون لإفساد شباب المسلمين وبنات المسلمين،ولسلخ المسلمين من عقيدتهم وتوحيدهم ومبادئهم و شبهات و شهوات و تغريب و إلحاد و شعوذة و إعلام ..!!

نحن الآن في زمن المُدافعة بين الخير والشر ، كلمات الخير والشر تتدافع .. هذا يُرسل لهم الخير والآخر يرسل لهم الشر .

في وسط هذه المدافعة وهذا الزحام لامكان للكسالى والضعفاء والمحطمين والمترددين لأنهم كثيرا مايتوقفون عند كل عائق وكل مشكلة.

هذه الفئة ليست هي من يحمل دين الله ويبلغه ، هذا الدين لاينصره إلا الأقوياء الذين يصبرون لعل الله يصلح بهم ولو قليلا، يصبرون في طريق العلم والدعوة والتعليم وغيره لعلهم يوصلون مامعهم من الخير ولو كان قليلا، يبلغون مامعهم من خير ويصلحون مايمكن إصلاحه .. يوقظ الله بهم ويُحيي القلوب و الأنفس والهمم، يكون لهم سهم في المرابطة في سبيل الله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2].

يقول الدكتور عبدالله التركي حين عُين مديرا لجامعة الإمام و كثرت المشاغل عليه والمسئوليات ، وتقابل يوما مع الشيخ ابن باز رحمه الله فسأله الشيخ عن حاله، فأخبره الدكتور عن المشاكل والمتاعب في الجامعة فرد عليه الشيخ وقال: هات يدك،

---

[1] صحيح ابن ماجه/مجموع الفتاوي .

[2] سورة آل عمران (200).

وأمسك بيده وقال إن الله يقول ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا﴾ ثم ضم اصبع من أصابع الدكتور

﴿ وَصَابِرُوا﴾ ثم ضم اصبعا آخر، ﴿ وَرَابِطُوا﴾ ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ وهكذا كان يضم اصبع من أصابع الدكتور مع كل أمر ثم قال ولو أتيتم بهذه الأربع لأتتكم الخامسة ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

يقول الدكتور عبدالله التركي والله لقد أعطاني الشيخ درسا في الصبر لن أنساه[1].

وهذا ليس درسا في الصبر فقط بل في الإصرار في العزيمة وفي القوة، ولن يحمل هذا الدين ولن يبلغه ويثبت عليه إلا الأقوياء.

ولكن ما هى صور القوة المطلوبة فى الذين يريدون حمل الدين ونصرته◉

أن يكون قويا في إيمانه، قويا في علمه، قويا في توكله، قويا في دعائه، قويا في عبادته، قويا في عزيمته، قويا في أخذه بالأسباب، قويا في اغتنامه للفرص يُقال" الفرص الثمينة لا تتكرر لأنها محدودة الأجل سريعة الإنقضاء".

قويا في حكمته، قويا في تربيته لنفسه" يربي نفسه كيف يكون جبلا يقف أمام المغريات والفتن والشهوات.

وهذه القوة مطلوبة من كل المعلمين والمعلمات والمربيين والمربيات والآباء والأمهات ولكل من نذر نفسهُ لتبليغ دين الله والدعوة إليه .

◄ من أين يستمد المؤمن قوته حتى لا ينهار؟ فالطريق طويل ومليء بالعقبات؟

يظل هذا الإنسان قويا إذا شعر أن مصدر القوة لا ينضب ولاينقطع ، وهذه القوة لا يمكن أن تكون لأحد إلا لله عزوجل، فهو سبحانه وبحمده القوي المتين، وصفة من صفاته سبحانه وبحمده صفة القوة.

مجرد أن تشعر أن القوة الإلهية معك ستقوى مباشرة.

---

[1] من إحدى حلقات برنامج " صور من حياتي " حلقة حياة الشيخ الإمام ابن باز رحمه الله.

وهذا ماشعرت به الثلة المؤمنة التي كانت تقاتل مع طالوت حين رأوا جالوت وجنوده وضخامة أجسامهم وكثرة عددهم وعتادهم، و كادوا أن ينهاروا ويضعفوا وينهزموا ولكن بمجرد أن تذكروا معية الله واستشعروا نصرة الله لهم مباشرة خرجت منهم تلك الكلمات الواثقة ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ ثم أعقبوه بذلك الدعاء المبارك ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

وكذلك في قصة أنس بن النضر حين أُشيع خبر مقتل الرسول ﷺ، أصاب بعض الصحابة شيء من الضعف وشيء من اليأس والوهن حتى ألقى البعض سلاحه وجلس..!

وهنا بدأ أنس يمر على هؤلاء المسلمين يقويهم حتى لا تنكسر عزائمهم ولا تخور قواهم، وقال لهم : قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله.

ما كان لأنس بن النضر أن يقوي عزائمهم لو لم يكن هو قويا بالله **(ومن تقوى بالله قواه الله) (ومن انقطع لله كفاه الله كل شيء).**

الخلاصة: صفة القوة والتي تكررت في السورتين (سورة التكوير وسورة النجم) في وصف جبريل عليه السلام، تخبرنا أن هذا الدين لا يحمله إلا الأقوياء .

ومتى استشعرنا بأن القوة الإلهية معنا سنثبت وتثبت أقدامنا على الطريق.

❍ الوقفة التربوية الثانية:

توجيه المعلمين والمعلمات أن يتخذوا ما يستطيعون من وسائل التعليم المُجدي حتى يتركوا أثرا راسخا.

﴿ ذو مرة فاستوى ﴾.

المطلوب أن يتعب المعلم أكثر من طلابه، أن يحضر ويفرغ وييسر المعلومة ويربط ويجمع ويطور من نفسه ومن قدراته ومهاراته بل ويوظف كل ما أعطاه الله من ملكات سواء من مال أو حفظ أو ذكاء أو فراغ يوظفه كله في إتقان وحبك وتحسين مهارة التدريس والعطاء.

وهذا وإن كان متعبا إلا أنه في المقابل يجب أن يعلم أن أنفَاسهُ محفوظةٌ له،خطواته محفوظة.. خطة القلم الذي يكتب به محفوظة ومدخره له عند الله ، وأن أجره على قدر نصبه.

يكفيك شرفا أن ينظر الله إليك وقد جمعت طلابك حولك في مدارسة كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ ..نعمةٌ لا توازيها ولا تُعادلها نعمة ..!

○ الوقفة التربوية الثالثة:

حين نتأمل كلامنا السابق عن الوحي نلاحظ أن الوحي محاط بالعظمة والتقديس والمهابة، بدءا من تلك الأقسام العظيمة التي أقسم بها رب عظيم ﷻ سواء الذي وردت في **سورة النجم**: ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ (٣) إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ (٤)﴾.

أو **سورة التكوير**: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ (١٥) ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ (١٦) وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ (١٧) وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ (١٨) إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ (١٩)﴾ .

أو **سورة الواقعة**: ﴿ ۞فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦) إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ (٧٧)﴾.

ثم اختيار أعظم ملك في السماء لينزل بهذا الوحي من السماء ، واختيار أعظم مخلوق على وجه الأرض سيد ولد آدم محمد ﷺ ليتلقَّى الوحي .

✧ هذا الوحي الذي أُحيط بحماية ربانية هائلة جدا، السماء ملئت حرسا شديدا وشهبا، النجوم والشهب تتساقط من السماء، الجن والشياطين يُرجمون ويحترقون.

معرفتنا بكل هذا عن القرآن يجعل مساحة القرآن في القلب تتسع، ويجعل الانسان يتيقن بأن القرآن أكبر كرامة أكرم الله بها البشر.

وهذا الكلام لو استشعرناه بشكل صحيح لذبنا خجلا وحياء وندما يوم أن ابتعدنا عن القرآن، يوم أن تثاقلنا و تشاغلنا عن القرآن، البيوت، الأرفف، الأدراج مليئة بالمصاحف ولكن أين من يقرأ؟

وهذا ما يجعل أول أولويات معلم القرآن أن يحدث طلابه عن تعظيم وتقديس القرآن وعن جمال القرآن ونور القرآن.. و عن ذخائره وهداياته وكنوزه وبصائره حتى يُحبب القرآن لطلابه . فليست المسألة بحفظ ألفاظ القرآن وإتقان حروفه فقط..!

بل أول الأولويات أن يحب الناس القرآن وتمتلأ قلوبهم تعظيما وإجلالا لهذا الكتاب العظيم ،

وأن يعرفوا معنى **(أن القرآن يحب صاحبه)..**

على المعلم أن يجعل طلابه طوال السنة يتذوقون معنى الفرح بالقرآن، فيفرحون به في الدنيا قبل أن يفرحوا به في الآخرة وإن كان فرح الآخرة هو الفرح الأكبر.

هذا الكلام يجعل معلم القرآن يُعمِّق بداخله معنى < الصدق مع الله > .

بأن يكون مخلصا صادقا حين يفسر القرآن لطلابه، حين يربي طلابه، حين يلتف معهم على مائدة القرآن.

الرسول ﷺ لما أرسل مصعب بن عمير للمدينة حتى يقرأ عليهم ويعلمهم القرآن كان ممن أسلم على يديه أسيد بن الحضير، وسمع سيد الأوس سعد بن معاذ وكان لم يسلم بعد ، سمع عن مصعب وقراءته وكيف أن أهل المدينة يدخلون في الدين الجديد فغضب غضبا شديدا وجاء ليمنع مصعب ..

فلما رآه أسيد بن حضير اقترب من مصعب بن عمير وقال: هذا سيد الأوس "فاصدق الله فيه" ..!!

"فاصدق الله فيه" ..!!

مصعب لم يتصدر هو بنفسه لتعليم الناس في المدينة بل اختاره رسول الله ﷺ وماختاره إلا لأنه أهلٌ لذلك، ولأن عنده من الإخلاص والصدق مايؤهله.

ومع ذلك ذكّره أسيد: هذا سيد الأوس "فاصدق الله فيه"

لأن الكلمة إذا خرجت منك وأنت صادق أوصلها الله كاملة

يقول أهل العلم : **(كن صادقًا فقط ثم أترك كل شيء سيوصله الله)**

طلب الخليفة من العلماء تأليف كتاب سهل في الحديث يقرأه الناس في مساجدهم وحلقاتهم، بدأ العلماء يؤلفون حتى ألفوا ثلاثين موطئا_أي ثلاثين كتابا في الحديث_ وبدأ الإمام مالك يملي على طلابه يريد تأليف موطئا، فقال له أحد طلابه: ياإمام أما سمعت عن ثلاثين موطئا كتبوا في الأمصار؟ أين يذهب موطئك بينهم؟ فرد الإمام: اكتب يابني فما كان لله يبقى، هل نعرف في يومنا هذا موطئا غير موطىء الإمام مالك؟

إذا كنت مخلصا وكنت صادقا في تعليمك في تحفيظك وتدريسك فالله سبحانه وتعالى سيتولى ويوصل هذا العلم كاملا لمن يريده

.. (كن صادقًا فقط ثم أترك كل شيء سيوصله الله).

✧ وهذا الكلام يجعل على كل من يريد حمل وخدمة هذا الدين أن يحقق التقوى، التقوى بضاعة يحبها الله ستأتيك أرباحها.

الوحي هذا شرف وتعليمه شرف ...

النظرات، الغدرات ، الفجرات ، الخلوات، الخطرات، الرياء والسمعة لا تؤهلك للشرف بل تنقصك إياه ، تنزعه منك .. تفقدك إياه ..

فكن حذراً .. فالقرآن عزيز...

أخيرا...

رسالة لمعلمين ومعلمات القرآن، لكل من يعلم الوحي، لكل من يعلم كلام الله

إذا ألبسك الله لباس تعليم كتابه فلا تنزع هذا القميص أبدا، **(لا تنزع قميصا ألبسك الله إياه).**

ولنعلم جميعا أن طريق الدعوة مليء بالابتلاءات، بالتمحيص، بالاختبارات، ومليء أيضا بأذية البشر.

فلنحرص على أن نقابل الله ونحن مازلنا على هذا الطريق، فنعم الطريق ونعمت البضاعة..

سُئل أحد كبار التابعين "أبو عبد الرحمن السلمي" جلس أربعون عاماً يُقرئ الناس القرآن.. سُئل عن ذلك ؟

فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول : [خيركم من تعلم القرآن وعلمه].

وهذه خيرية خاصة يصطفي لها الله من يشاء من عباده،اللهم اجعلنا ممن اصطفيتهم واخترتهم ..وثبتنا على هذا الطريق حتى نلقاك وأنت راضي عنا غير غضبان..

سورة النجم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ٨ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ
أَدۡنَىٰ ٩ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ١٠ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ
١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ١٢ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ١٣ عِندَ
سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ١٥ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا
يَغۡشَىٰ ١٦ ﴾.

هذه الآيات تصف المرتين التي رأى النبي ﷺ فيها جبريل عليه السلام..

⇦وهنا نلاحظ أن:

الآيات مع قصرها، وقلة كلماتها، وسرعة جرسها وتتابعها إلا أنها تجعلك تعيش مشهد الرؤية..!

وقد كانت الرؤية والمشاهدة الأولى في مكة في جبل حراء، حين استوى جبريل في الأفق، في السماء وظهر في هيئته التي خلقه الله عليها_كان له ستمائة جناح_ وقد سدَّ مابين الأفق..! وهو على هذه الهيئة..

بدأ ينزل ويقترب من النبي ﷺ

و أخذ يدنو منه شيئا فشيئا ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾.

كان دنوه على هيئة التدلي.. أي كالسراج أو المصباح المتدلي من القبة

" وهنا تذوق روعة البلاغة القرآنية في اللفظين **(الدّنو و التدلّي)** ..

ففيهما إيحاءٌ جميل بحال اللطف و السكينة و الهدوء فلم يكن نزوله هويّاً وانقضاضاً ؛ وإنما كان نزوله نُزول رحمةٍ وسلام.

ولك قارئي العزيز أن تعيش المشهد أمام ناظرك.. كيف أن جبريل عليه السلام وهو بهذه الخلقة العظيمة .. وبهذه الأجنحة .. ستمائة جناح وهو متدلي بين السماء والأرض، وهاهو يقترب ويقترب من النبي ﷺ قربًا حقيقيًا حسيًا حتى لم يعد يفصل بينه وبين النبي ﷺ إلا ﴿...قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾.

و العرب تستخدم هذا التعبير للإشارة إلى المسافة القريبة جدًا،

من الطبيعي أنه مع هذا الاقتراب وهذه الهيئة وهذه الخلقة العظيمة أن يقع في النفس شيء من الخوف، الرعب بل والفزع.

لكن هذا لم يحدث ..!! فنزول جبريل عليه السلام كما قلنا لم يكن انقضاضاً أو هويّاً ، بل نزول رحمة وسلام وسكينة وهذا من الإيحاء المأخوذ من **(الدنو والتدلي)**.

﴿ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ بمعنى أنه بدأ يوحي إلى الرسول ﷺ ، ما أوحى إليه الله من الآيات.

﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾رؤية النبي ﷺ لجبريل عليه السلام لم تكن وهما ولا خيالا ولا أمرا التبس عليه، بل شاهده حقيقةً واجتمع مع الرؤية البصرية إدراكٌ قلبي حقيقي، فهي إذن رؤية حقيقية نافذة إلى الفؤاد وهو عمق القلب.

ولما كانت الرؤية حقيقية جاء الاستنكار ﴿ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى ﴾.

المراء: هو الجدال الشديد

أي: يا معشر قريش أمازلتم تمارونه وتشككون في صدقه

ثم جاء التأكيد الأكثر لأمر الرؤية ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾.

المشاهدة الثانية:

﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى... ﴾.

كانت في رحلة الإسراء والمعراج، حين عُرج بالنبي ﷺ للسماء إلى السماء السابعة عند سدرة المنتهى وهذا من الغيب العظيم الذي لا يمكن للعقل البشري إدراكه لولا أن حدثنا الله في كتابه بهذه الحادثة والنبي ﷺ فصل لنا تفاصيلها وأخبارها.

✧ رحلة الإسراء والمعراج تدرس في مبحث العقيدة، هي حادثة مهم جدا دراستها، ومعرفة كيف وصفها النبي ﷺ وما الأخبار والمعجزات التي رآها ومن ثم استنباط العبرات والدروس والفوائد التي ترفع الإيمان وتزيد من محبة نبينا صلى الله عليه وسلم.

متى وقعت حادثة الإسراء؟ في أي شهر وأي يوم بالتحديد؟

يحدد البعض إنها وقعت في شهر رجب، ومنهم من يقول في السابع والعشرين من رجب تحديدا

والصواب انه لا دليل قطعي ولا نص ثابت يحدد الشهر واليوم الذي وقعت فيه

وما يقال ويفعل في تلك الأيام من إنارة المساجد وقيام الليل وصلاة الرغائب والذبائح والعبادات وتخصيص الليلة بقيام وأوراد بدعة لا أصل لها ولا دليل عليها.

لو كانت ليلة لها فضل ومزية في العبادة لحددها لنا رسول ﷺ كما حدد ليلة القدر، والعشر الأواخر من رمضان، وعشر ذي حجة.

لكن الرسول صلى الله عليه ويلم لم يحددها ولم يحتفل بها أو يخصها بأي عبادة ولا الصحابة ولا التابعين وهم أحرص على الخير و الاتباع منا.

لكن الحادثة في ذاتها عظيمة وآية كبرى يسرى به إلى المسجد الأقصى ثم يعرج به إلى السماء.

وهذه معجزة خارقة باهرة وحفاوة كبيرة لم ينلها أي نبي ، بل خص الله بها نبينا ﷺ.

خص الله بها نبيه احتفاءا به وتكريما له لأنه صبر وتحمل أنواع من الأذى والعذاب والبلاء في سبيل الدعوة إلى الله.

ما الظروف والأحداث التي أحاطت بهذه الرحلة؟ وما الظروف التي سبقتها؟

حدثت الرحلة بعد أن أصيب النبي ﷺ بفاجعتين في عام واحد

1- موت زوجته خديجة_ رضي الله عنها_ وكانت نعم الزوجة ونعم المعين ونعم الدار، وهي المرأة التي ادخرها الله لنبيه، كانت أنسا وسكينة وظلالا وأمنا لرسولنا ﷺ

2- موت عمه أبي طالب، وكان درعا وحماية ونصرة للنبي ﷺ

فأصاب نبينا ما أصابه من الحزن والهم والفقد.

3- ومن الأحداث المؤلمة التي سبقت حادثة الإسراء والمعراج :

ذهابه ﷺ إلى الطائف وما حصل له من أهلها هناك، طردوه وصدوه وقالوا: أما وجد الله أحدا غيرك ليبعثه..!

رموه بالحجارة حتى أدميت قدماه،وحين عاد إلى مكة منعته قريش من الدخول ومن الطواف بالبيت، فدخل في جوار مطعم بن عدي وكان له أولاد تقلدوا السيوف وأدخلوه في حمايتهم.

اشتد البلاء على نبينا ﷺ وعَظُمَ وتكاثر..

ومن سنة الله في تربية عباده الصالحين أن يشدد عليهم البلاء أكثر من غيرهم

كما قال ورقة بن نوفل لنبينا ﷺ (ما جاء أحد بمثل ما جئت به إلا عُودي).

لماذا يشدد عليهم البلاء؟ لأن المرء يُبتلى على قدر دينه.

ولأن **القاعدة تقول (البلاء قرين الفضل).**

فكلما عظم الإنسان في دينه، في قدره، في هدايته وصلاحه واستقامته عظم بلاؤه وتتابع...

ويشبه هذا البلاء بالدوائر، الذي ما إن ينتهي من دائرة وينجح بها حتى يدخل في دائرة بلاء أكبر وهكذا وهكذا حتى يصل العبد إلى المنزلة والمرتبة العالية التي كتبها الله له، والتي لن يصلها إلا بهذا البلاء..!

وهذا مصداق قوله ﷺ: (إذا سبقتْ للعبدِ من اللهِ منزلةٌ لم يبلغْها بعملِه ، ابتلاه اللهُ في جسدِهِ أو في ولدِهِ أو في مالِهِ ، ثم صبرهُ حتى يُبلِّغَهُ المنزلةَ التي سبقتْ له منه)[1].

وانظر رحمة الله يشدد عليهم البلاء ثم يعينهم على الصبر..

صبرَ رسول الله ﷺ في الأولى فعوضه الله بالثانية إكراماً له ، فجاءت رحلة الإسراء والمعراج تعويضاً وتسليةً واكراماً واحتفاءً به بعد الطرد والصد والمنع والحجارة.

⇦ و ما سلب الله من عبد نعمة فصبر عليها إلا عوضه الله خيرا منها.

وهذا من جبر الله لقلوب عباده ولنتأمل اسم الله الجبار في هذا الموضع ،

و الجبر من معانيه في اللغة: الاصلاح.

نقول لمن يُصلح ويعالج كسر العظام : المُجبِّر .

---

[1] رواه أحمد في المسند وصححه الألباني.

والله سبحانه وبحمده هو الجبار، يجبر الكسير يجبر الفقير، يجبر المريض، يجبر المظلوم بل يجبر حتى المعصية..!

فالمعصية كسر، تكسر شيء في إيمان العبد..

ولأن الله ﷻ هو الجبار ، فهو يصلح ما أفسده هذا الذنب وهذه المعصية.

وهكذا كانت رحلة الإسراء جبرا وتسلية وتعويضا ..

فإن كان أهل الأرض طردوك وصدوك فإن الله وأهل السماء يرحبون بك، والأنبياء يقتدون بك لأنهم يصلون خلفك، وأهل السماء يقبلون إليك.

وإن كان أهل الدنيا أغلقوا الأبواب في وجهك ، فإن الله قد فتح لك أبواب السماء..

وقد هيء الله نبيه لهذه الرحلة **(وإذا أرادك الله لأمر هيأك له)** ..!

⇦ كيف تمت تهيئة الله لنبيه لهذا الأمر؟

قيل أن النبي ﷺ كان نائما في بيت أم هاني ،

ففرج سقف البيت و نزل جبريل وفي بعض الروايات نزل معه ملكان وجيء بطست من ذهب فيه ماء زمزم .

ثم شُق صدر ﷺ و أُخرج قلبه وغُسل بماء زمزم ثم حُشي إيمانا وحكمة و أُعيدَ إلى مكانه ، وكان هذا الشق حتى يهيأ للصعود للملكوت الأعلى .

تمت التهيئة ثم حصل الإسراء .

❍ وقفة ...

هل لنا نحن البشر العاديين حظ ، في أن يفرغ الإيمان ويحشى في قلوبنا؟

الجواب: نعم، الله عز وجل يضع الإيمان والحكمة في قلوب عباده ،

صحيح أن النبي ﷺ له الحظ الأوفر فقد خصه الله بشق صدره شقا حسيا حقيقيا وفُرغّت الحكمة والإيمان وصبت في قلبه صبا لكن هذا لا يمنع أن للمؤمنين نصيب وحظ من هذه المعاني...!

و الدليل في سورة القصص قصة موسى عليه السلام : ﴿ وَلَمّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ﴾[1] .

خُتمت الآية وكذلك نجزي المُحسنين ..فكل من أحسن من عباد الله سيجزيه الله بنحو ما جزى أنبياءه، كل حسب طاعته، حسب اجتهاده، حسب صدقهِ وإقبالهِ على الله .

﴿ كُلاًّ نُمِدُّ هَؤُلاء وَهَؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾[2] .

إلا أن الأنبياء لهم النصيب الأكبر والحظ الأوفر من هذه المقامات العالية.

✦ وهكذا تمت تهيئة الرسول ﷺ حتى يُصعد به إلى السماء السابعة وحادثة الإسراء تصفها لنا الآية في سورة الإسراء:

﴿ سُبْحَانَ الّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنّهُ هُوَ السّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[3].

هذه الآية فيها من الكنوز البلاغية ما لو عرفه قارىء القرآن وفهمها لأخذت بقلبه وشدته وقربته ..!! دعنا نتأملها ..

(سبحان) بدأت الآية بالتسبيح .

يقول العلامة الشنقيطي إنما يكون التسبيح عند الأمور العظام..!

الله سبحانه وبحمده أسرى بعبده إلى مكانٍ أقصى بعيد في رحلة يُضرب إليها أكباد الإبل شهراً كاملاً..!

فالرحلة تستغرق من مكة إلى بيت المقدس شهرًا كاملا، فإذا بالله سبحانه وبحمده يُسرِي بعبده ليلاً ..!

ثم يعود النبي ﷺ بعد أن تكلم ورأى، وقال وقيل له..

وسمع من الأصوات ما لم يسمعه غيره، وشاهد من المرئيات ما لم يشاهده غيره..

---

[1] القصص (14).
[2] الإسراء.
[3] الإسراء (1).

وجرى له من المعجزات والعجائب والآيات ملا يقدر عليه إلا الله..

هاهو يعود وفراشه مازالَ دافئاً ...!!؟

فتناسب أن يأتي التسبيح لأن الأمر خارق عن العادة، أمر عظيم جدًا جدًا...! فالتسبيحُ عظيم .

﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى﴾**الإسراء:** هو السير ليلًا.

وهذا دلالة على أن الرحلة تمت في جزءٍ من الليل..

لماذا أسرى؟ ولم يأت سرى؟

هذا إشارة إلى المبالغة في السير والمبالغة في السرعة.

ففي السفر يختلف الزمن .. حسب قوة السرعة

فمن يسافر على رجليه ليس كمن يسافر بالسيارة أو الطيارة على سبيل المثال، فكيف إذا نسب الإسراء إلى الله ﷻ كيف تكون سرعته ؟

(بِعَبْدِهِ) الباء حرف جر، **ومن معانيه:**

1-**المصاحبة:** أي مصاحبة الله عزوجل لنبيه في هذه الرحلة..

وهذا مصداق قوله ﷺ في دعاء السفر :(اللهم أنت الصاحب في السفر)

2-**الإلصاق**: أي شدة تعلق النبي ﷺ بربه في هذه الرحلة

وإذا جمعنا المعنيين **(المصاحبة والإلصاق)** يكون المعنى : لا يوجد صاحب أقرب إلى النبي ﷺ من ربه في إسرائه، ولا يوجد مخلوق أشد تعلقا بربه من رسول الله ﷺ في إسرائه.

وما أجمله وما أعذبه وما أرقه من معنى ....!

(بِعَبْدِهِ) ليس برسوله ولا بنبيه بل بعبده لماذا؟ لأن العبودية شرف ما بعده شرف، وعطاء ما بعده عطاء..!

حين مدح الله أنبياءه في كثير من مواطن القرآن مدحهم بلفظ العبودية

﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ الإسراء(3).

﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ ص **(44).**

﴿ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ ص (45).

يقول أبو حبان: ولو كان للرسول ﷺ اسم أشرف منه لسماه الله به في تلك الرحلة.

بمعنى أن العبودية أسمى وأشرف وأعلى مقام يمكن أن يصله الإنسان

﴿ لَيْلًا﴾ كلمة الإسراء تدل على السير ليلا فلماذا جاء التأكيد بكلمة ليلا **:**﴿ سُبحان الذى أسرى بعبده ليلا﴾ ..

للدلالة على شرف وفضل الليل،

الله هو الذي اختار الليل لتتم فيه رحلة الإسراء،

وهو اختار الليل ليكون وقت التجلي ووقت تنزله سبحانه وبحمده إلى السماء الدنيا نزولا يليق بجلاله "هل من داع فأجيبه، هل من سائل فأعطيه، هل من مستغفر فأغفر له"

- الله هو الذي اختار الليل الوقت الذي ينجّي فيه أولياؤه وأنبياءه ﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾[1]. الدخان (23)

وهو الذي اختار الليل لينزّل فيه القرآن ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾.

---

[1] الدخان (23).

وهو الذي اختار الليل ليأمر نبيه بقيامه ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ(1) قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلا﴾.

وهو الذي اختار الليل ليكون فيه أعظم مجلس قرآني مهيب، بين أعظم مخلوق على الأرض"محمد ﷺ " وأعظم ملك في السماء"جبريل عليه السلام" في كل ليلة من ليالي رمضان يدارسه القرآن.

وماكان لجبريل أن يتنزل من تلقاء نفسه، ولا أن يختار الليل من تلقاء نفسه: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ .

حتى المقام المحمود الذي اختاره الله لنبيه ﷺ ويغبطه عليه الأولين والآخرين قرنهُ بالليل ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً﴾[1] الإسراء (79).

الليل شأنه عظيم، وعبادة الليل شانها عظيم هو عُمقُ المضمار وركيزة السباق .. هو سوق الآخرة ، لذلك قيل من خدمَ بالليلِ وصلْ.

*عبادة الليل وأعماله هي التي تثبت وتقوي إيمان العبد .

*عبادة الليل تنفض ضجيج الشهوات عن القلوب فهي أفضل العلاج لكل من يشكي علة في قلبه .

*عبادة الليل تقفز بصاحبها لأنها أقرب ما تكون إلى الإخلاص والصدق والخفاء والسريرة بين العبد وربه، تجتمع فيها عبادات كثيرة من بكاء وقراءة للقرآن وصلاة و مناجاة و افتقار و انطراح..

الليل هو المحك وهو مضمار السباق بين المتسابقين والسائرين إلى الله .

لذلك حين وصى النبي ﷺ قال: [وشيء من الدُلجة][2] والدلجة: هي السير ليلًا.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (يضحك الله عز وجل إلى رجلين ...ورجلٌ قام في جوف الليل لا يعلم به أحد فتوضأ فأسبغ الوضوء ثم حمد الله ومجده وصلى على النبي ﷺ واستفتح القرآن فيقول الله : انظروا إلى عبدي قائماً لا يراه أحد غيري)[3]

---

[1] الإسراء (79).

[2] صحيح البخاري رقم الحديث39 نقلا عن كتاب المحجة في سير الدلجة لابن رجب.

[3] رواه عبدالرزاق في مصنفه(11/185)

أحد السلف قيل له ما تشتهي؟ قال: أشتهي أن أقوم الليل حتى أشتكي من فقاري.

يعني حتى أشعر أن ظهري قُصم من طول القيام..!

⇦ لماذا كل هذا؟

يجيب الحسن البصري رحمه الله ويقول :

(لأمرٍ ما أسهروا ليلهم، ولأمرٍ ما خشعوا في نهارهم).

والمعنى ذلك الأنس والقُرب وتلك اللذة التي أدركوها وكانت سببا في مجافاتهم للفرش وغيرهم نائم...!

✧حصل الإسراء ليلا، وجيء لرسولنا ﷺ **بالبُراق،**

وهو دابة وصفها النبي ﷺ فقال: [دابة أبيض طويل، فوق الحمار ودون البغل][1] ، ركبه رسول الله ومعه جبريل.

وجاء في السنن أن النبي ﷺ حين ركب البراق تصعَّب عليه_أي نفر_

فقال جبريل: أتفعل ذلك بمحمد؟ وو الله ما ركب عليك أحد أكرم على الله منه..! فتصبب البراق عرقا _يعني استحيا_

ركب النبي ﷺ وجبريل البراق وأسري به إلى بيت المقدس ، فربطهُ بالحلقة التي يربط بها الأنبياء ثم دخل المسجد فصلى فيه ركعتين.

وهذا يدل على شرف تلك البقعة المباركة .

فالصلاة في بيت المقدس تعدل مئتين وخمسون صلاة.

سُئل رسول الله ﷺ: يا رسول الله هل الصلاة في مسجدك أفضل أم الصلاة في المسجد الأقصى؟

فقال: "صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه، ولنعم المصلى"[2].

---

[1] صحيح مسلم من طريق شيبان بن فروخ عن حماد بن سلمة.

[2] الترغيب والترهيب.

الصلاة في مسجد النبي ﷺ بـ ألف صلاة، وكما في الحديث أربع صلوات في المسجد الأقصى تعدل صلاة واحد في مسجد رسول الله، إذن تساوي مئتين وخمسن صلاة ..

⇦ وهكذا:

الصلاة في المسجد الحرام تعادل مئة ألف صلاة..

الصلاة في المسجد النبوي ألف صلاة..

الصلاة في المسجد الأقصى مئتان وخمسون صلاة..

دخل النبي ﷺ المسجد الأقصى، استقبله الأنبياء، صلوا خلفه، فلما انتهوا من الصلاة خرج من المسجد فإذا بجبريل يأتيه بإناء من خمر، وإناء من لبن ثم خيره بينهما..!

فاختار النبي عليه الصلاة والسلام اللبن، ففرح جبريل عليه السلام وقال: الحمد لله الذي هداك للفطرة.

لأن الخمر في أصله شراب خبيث حسًا ومعنى، وهو أم الخبائث، ولا يختار الإنسان الخمر إلا إذا كان هناك فساد في فطرته..!

وتبعًا لهذا الفساد في الفطرة، تفسد أخلاق المرء وأعماله وأحواله وحياته، أما اللبن يدل على صفاء الفطرة على نقاءها على خلوها من الشوائب، من المكدرات...

وتبعًا لاستقامة هذه الفطرة تستقيم حياة العبد وتستقيم كل أحواله.

ولأن الله خلق نبيه على أحسن الفطرة وأحسن الأخلاق وعلى حسن السريرة اختار اللبن، وفرح جبريل عليه السلام بهذا الاختيار..

وعُرِجَ بنبينا إلى السماء . . !

والعروج: هو الصعود.

فاستفتح جبريل، أي طلب الإذن بالدخول من خازن السماء ، فقيل له: من أنت؟

قال: جبريل

قال: ومن معك؟

قال:محمد

قال: بُعث إليه؟

قال: قد بُعث إليه، .. قال جبريل: ففُتح لنا.

1- في هذا دليل على أن السماء محفوظة حفظًا بالغًا، وأنها أبواب، عليها حرس من الملائكة، لا يؤذن لأي أحد، و لا يدخلها أي أحد ولا تفتح إلا بإذن.

وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَّحْفُوظاً﴾[1]. (لأنبياء: 32).

إذا كان جبريل سيد الملائكة وأفضلهم لا يدخل إلا بإذن، فكيف بغيره..؟

2- النبي ﷺ وجبريل هما أفضل من هذا المَلك ، ومع ذلك استأذنا الدخول ولم يتجاوزا...!

➪وهنا وقفة مهمة: إذا أراد الله بعبد خير رزقه الأدب ونزع من قلبه الكِبر

بدءا من الأدب مع الله ثم مع رسوله ثم مع الناس ...

الأدب مقامٌ عظيم من المقامات الرفيعة الكبيرة، ومنزلة من منازل الإيمان التي يتفضل الله بها على من يشاء من عباده ، من حققه فقد فازَ بخيرٍ كثير ونالَ ما نالَ من الفتح والهبات والبركات.

وأعلى مقامات الأدب:

هو الأدب مع الله:

ثمة أشخاص يصطفيهم الله اصطفاءا وينتقيهم انتقاءا ويرزقهم الأدب معه ومعلومٌ أن من أصلحَ حالهُ مع الله منَّ الله عليه أن يكون ذو أدب وخلق مع الناس

---

[1] الأنبياء (32).

ولدينا في القرآن الكثير من الأمثلة:

❍ تأمل في أدب أيوب عليه السلام مع ربه: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ..

لم يقل أهلكني المرض، أنا مكروب، أنا مهموم ، أنا وأنا ،،، فقدت أهلي وأولادي ومالي وتعبت..!

إنما قال: مسني الضر، **والمس في اللغة** : أقل الإصابة وأخفها..!

رغم أنه بقي في البلاء ثمانية عشرة عاماً ، مات كل أولاده، فقد كل ماله، شلت جميع جوارحه، نفر كل الناس منه، ما بقي غير زوجته كانت تخدمه حتى باعت ضفائرها..

ومع كل هذا يقول : مسني الضر...!!

ولم يقل حتى ارحمني وارفع عني رغم أن هذا جائز.

لكننا نتحدث عن مرتبة عالية ..!

﴿...أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ هذا تعريض بالحاجة، وأحيانا التعريض بالحاجة أقوى في استنزال الرحمة .

فأنت يا رب أرحم الراحمين، وأنت رحمن الدنيا والآخرة، ورحمتك وسعت كل شيء .... أدبٌ مُلِيءَ افتقاراً فأتت النتيجة الفورية: ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ﴾.

(الأدب يفتح لك الطريق) وينال به العبد ما ينال من الهِبات والرحمات والعطايا والبركات...

وإذا كان الأدب يفتح لك الطريق مع المخلوقين فكيف بالأدب مع رب العالمين ...!

وهكذا استاذن جبريل وفتحت أبواب السماء الأولى وهي السماء الدنيا ودخل نبينا ﷺ وجبريل عليه السلام ..

❁ في (السماء الأولى).. رأى آدم عليه السلام فسلَّم عليه ورحب به،

وقال: مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح ، ودعا له بالخير.

ثم صعد إلى السماء الثانية وكان في كل سماء يستأذن فيؤذن له وتفتح له أبوابها.

❁ في (السماء الثانية).. رأى يحيى ابن زكريا وعيسى عليهما السلام.

سلما عليه، رحبا به، أقرا بنبوته وقالا: مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح ، ودعَوَا له بالخير .

❁ ثم في (السماء الثالثة) رأى رجلا أحسن ماخلق الله قد أوتي شطر الجمال وهو يوسف عليه السلام ..! قيل أوتي شطر الجمال **بمعنى:** النصف من جمال آدم عليه السلام.

وقيل أي نصف الجمال كله، وهذا أمر عظيم، لذا قالت امرأة العزيز :

﴿ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾ وقطعن النساء أيدهن...!

وهذا يدل على هول الجمال الذي ينظرن إليه...!

❁ ثم وصل ﷺ إلى (السماء الرابعة) فرأى إدريس عليه السلام رحب به وسلم عليه وقال مثل ماقال الأنبياء قبله.

❁ ثم (السماء الخامسة) فرأى هارون عليه السلام رحب به وسلم عليه وقال مثل ما قال الأنبياء قبله.

❁ ثم (السماء السادسة) فرأى موسى عليه السلام رحب به وسلم عليه وقال مثل ما قال الأنبياء قبله، > ثم لما خرج النبي ﷺ بكى موسى..!

قالوا ما يبكيك؟ قال: لأن غلاما بُعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخل من أمتي)[1]، وهذا ليس حسدًا بالطبع، بل شفقة وحبًا لأمته..

والأنبياء أكثر الناس شفقة على أممهم، وحرصا على هدايتهم وحب الخير لهم.

---

[1] صحيح البخاري.

☸ ثم وصل إلى (السماء السابعة) ورأى فيها إبراهيم عليه السلام وكان مُسندًا ظهره للبيت المعمور..

والبيت المعمور في السماء يوازي الكعبة في الأرض، وهذا البيت يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه..!

منذ أن خلق الله الخليقة وحتى يوم القيامة، يدخل سبعون ألف ملك للبيت المعمور لا يعودون أبدا، **الله أكبر..!**

وهذا يدل على كثرة عدد الملائكة، وهو عدد لا يعلمه ولا يحصيه إلا الله.

[أطّتِ السماء وحُق لها أن تنطّ .. مافيها موضع أربع أصابع إلا وفيها ملك راكع أو ساجد][1] .

سلّم إبراهيم على نبينا ورحب به قائلا: مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح

ثم قال: أقرأ أمتك مني السلام ثم أخبرهم بأن الجنة طيبة التربة ، عذبة الماء ، قيعان، وأن غراسها

[سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله][2]..

وهذا من عظيم نصحه وعظيم شفقته على أمة محمد ﷺ ،

مرور النبي على السماوات السبع، وفي كل سماء يلقي نبياً أو أكثر ...

وكلما ارتفع يكون قدر النبي أعلى وهذا التفاضل بين الأنبياء موجود في سورة البقرة :﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾.

هذا وهم أنبياء بينهم هذا التفاضل في الآخرة.. فكيف ببقية المؤمنين ؟؟

وهذا يجعل المؤمن يلتفت وبقوة لقضية التفاضل في المنازل والدرجات ويفهم على أي أساس يقوم التفضيل الحقيقي وهو التفضيل في الآخرة .

﴿ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ العبرة كل العبرة بالآخرة .

---

[1] صحيح الترمذي/الترغيب والترهيب.
[2] مشكاة المصابيح/السلسلة الصحيحة.

كم أوزاننا في الآخرة؟

وما قيمتنا عند الله في الآخرة؟

هذا التفضيل قائم على العمل : ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا﴾ ليس من يمشي كمن يهرول ، وليس من قامَ كمن جلَس .

وليس من يسابق ويبذل من وقته وصحته وماله كشخص لا يحرك ساكنا..لا يستويان...!

ولا يجعل الله عبدا أسرع إليه كعبد أبطأ عنه... ﴿ إِنَّ سَعيَكُم لَشَتَّى ﴾.

حري بالمؤمن أن يقف ويُراجِع نفسه ، وأن تكون قضية التفضيل حاضرة في ذهنه ، وان لم تكن فليستثيرها في نفسه حتى تنشطه وتكون حافزا له.

ثم بعد ذلك رُفعَ النبي ﷺ إلى سدرة المنتهى.

السدر: نباتٌ معروف.

لكن سدرة المنتهى لاتجتمع مع السدر الموجود في الأرض إلا بالاسم فقط..

فشجرة السدر أوراقها صغيرة و ناعمة وثمرتها صغيرة

بينما سدرة المنتهى في الجنة شجرة ضخمة عظيمة هائلة، أصلها في السماء السادسة وفروعها في السماء السابعة.

والمسافة مابين كل سماء وسماء مسيرة خمسمائة عام، فتخيل...!

أوراقها كآذان الفيلة، ثمرها كقِلال هَجَر.

قلال: جمع قلة، وهي الجرة التي تسع قربتين من الماء أو أكثر.

هجر: اسم بلد.

سميت بسدرة المنتهى: لأنه ينتهي إليها علم جميع الخلائق وجميع الملائكة وينتهي إليها جميع ما يعرج من الأرض ولا أحد يعلم ما وراءها إلا الله.

﴿ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ سميت بهذا الاسم لأن الملائكة تأوي إليها، وكذلك أرواح الشهداء والمتقين وهي منزلة رفيعة وجنة عالية.

﴿ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ﴾ هذه السدرة يغشاها من أمر الله شيء عظيم قيل: تغشاها الملائكة وقيل فراشٌ من ذهب ، وقيل ألوانٌ لا يُدرى ماهي .. المهم أنه يغشاها من أمر الله فتتغير.

فتصبح على حالٍ من الحسن والنور والجمال والبهاء والزينة ما لا يستطيع أحد أن يصفه ولا يستطيع العقل إدراكه ..!!

لذا كانت الآية مبهمة ﴿ اذ يغشى .... ﴾ وهذا الإبهام للتفخيم والتعظيم ..

فهذا أمرٌ من أعماق الغِيب مما لا عينٌ رأت ولا أُذن سمِعت ولا خطرَ على قلب بشر.

في هذا الموضع رأى النبي ﷺ جبريل عليه السلام بصورته الملائكية، وقد كان طوال الرحلة مُحتفِظاً صورته البشرية فلما بلغَ السدرة تحول إلى هيئته الملائكية .. ستمائة جناح يتناثر من ريشه الدر والياقوت ..

(لَقَد رَأى مِن آياَتِ رَبِّهِ الكُبرى).

كل الذي رآه النبي ﷺ وشاهده إنما هو مشاهدة بصرية حقيقية مقرونةٌ بإدراك قلبي ، ليست أوهام ولا تخيلات ، إنما حقائق غيبية يقينية عُظمى .

تدل على عظمة الله وقدرته وأن الله على كل شيء قدير.

وبالرغم من كل مارآه إلا أنه ما التفت ما التفت ولا انصرف ولا تجاوز ببصرهِ الحد المأذون له فيه .. بل التزم أدب العبودية وكان في كمال الأدب، غاضا بصره في خشوع تام وخضوع تام وهذا تزكية لبصره ومن كمال خُلقه وأدبه ﷺ .

وفي هذه السورة زكى الله بدايةً قلبه وفؤاده ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾.

زكى لسانه ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴾.

والآن زكى بصره ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾.

ثم رفع نبينا ﷺ إلى مستوى سمع فيه صريف الأقلام ...!! أيّ أقلام ؟؟

إنها الأقلام التي بأيدي الملائكة وهم يكتبون أقضية الله في اللوح المحفوظ.

وهذا المقام لم يصل إليه إلا نبينا محمد ﷺ .

و في هذا الموضع كلَّمهُ ربه ﷻ و فرض عليه **(الصلاة).**

كل العبادات شرعت في الأرض وكلها شرعت بواسطة جبريل، نزل بها وعلمها نبينا ﷺ إلا الصلاة..!

أُستدعي النبي إلى السماء، عُرج به إلى السماء ،تولى الله بنفسه وبذاته العُليا فرضها

وهذا يدل على عظم قدر الصلاة ومكانتها ووزنها عند الله وأنها عبادة يحبها الله

وأول ما فرضها الله كانت خمسين صلاة

فمرَّ النبي ﷺ بموسى عليه السلام فقال له: بم أمرت؟

قال: بخمسين صلاة،

فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فوضعَ الله عنه عشرا فأصبحت أربعين،

ثم رجع فقال له موسى: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا تطيق..!

ومازال نبينا ﷺ يتردد بين الله تعالى وموسى عليه السلام حتى جعلها خمساً ثم قال له موسى أيضاً ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف..فقال نبينا: **استحييت من ربي** ..فجعلها الله خمساً بأجر خمسين .

⇦ **وهذا يدل على مكانة الصلاة ومنزلتها وفضلها وأن الصلاة ميزان الإيمان**

من حافظ عليها فقد أفلح في إيمانه ومن ضيعها فقد خاب وضيع إيمانه.

⇦ **والتضييع درجات،**

📋 هناك من يتركها تماما والعياذ بالله (والعهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر)..

بل من ترك فرضا واحدا متعمدا يقول أهل العلم (قد كفر) يحتاج أن يجدد توبته ويتشهد ويدخل في الدين من جديد

والآن كم من بيوت تئن من كثرة تاركي الصلاة فيها...!

مُحقت البركات، نُزعت بركات الأنفس والأموال والأولاد والصحة وغيرها بسبب شؤم هذه المعصية على أصحابها وعلى البيوت عامة..

⇦ **وهناك تضييع آخر:**

- ﴿ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى ﴾ يقومون إلى الصلاة متكاسلين متثاقلين وهذا حال المنافقين والعياذ بالله ..

صحيح الإنسان يكسل ويعاني من فتور ولكن أن يكون ديدنه والغالب عليه الكسل والثقل والتباطؤ في هذه العبادة هذا مؤشر خطير وعليه أن يراجع قلبه و إيمانه..

- **من صور تضييعها :** أن تُنقر نقرًا كما في الحديث

[تلك صلاة المنافق يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني الشيطان قام فنقر أربعا لا يذكر الله فيها إلا قليلا][1]،

يعني في آخر لحظة يؤخر الصلاة ثم يصليها بسرعة، يسرقها سرقةً، وينقرها نقرًا أشبه مايكون بصلاة المنافقين.

من صور التضييع تضييع الخشوع فيها .

والخشوع هو لُبّ الصلاة وروحُها ومخها وأهم صفة فيها ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ 1 الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ ..... ومقدار الأجر مترتب عليه، هل قلبك حاضر أم لا ..؟

وكم وكم نصلي ونخرج من الصلاة لا نعرف ماذا قرأنا وماذا قلنا..! (ليس لك من صلاتك إلا ماعقلت منها).

نسأل الله أن يعاملنا بعفوه ومغفرته ،،،

---

[1] تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي كتاب الصلاة رقم160

تأمل كلمة الشيخ إبراهيم السكران حفظه الله: أخشى ما أخشاه، أن نأتي يوم القيامة ونفجع بصلاتنا بحيث تكون محسوبة علينا كصلاة المنافقين نعوذ بالله..

لذا نحتاج أن نكثر من دعوة إبراهيم عليه السلام: ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ ﴾.

نسال الله أن يعننا على إقامة الصلاة وإتقانها وإحسانها .

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى 18 أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى 19
وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى 20 أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى 21 تِلْكَ إِذًا
قِسْمَةٌ ضِيزَى 22 إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا
أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ
وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى 23 أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى 24 فَلِلَّهِ
الْآخِرَةُ وَالْأُولَى 25 وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ
شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى 26 إِنَّ الَّذِينَ لَا
يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثَى 27 وَمَا لَهُمْ بِهِ
مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا
28 فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا 29
ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ
وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى 30 وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى
الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ
الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي
بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى 32﴾

آيات فيها هجوم ونسف لعقائد المشركين الباطلة ،

فيها فضح وكشف ماكانوا عليه من الضلال، وكشف لما يعانونه من السفه الفكري..

فهم ينحتون حجارة ثم يسمُّونها ثم يُأَلِهُونها و يعتقدون أنها آله تُعبد من دون الله ..!

و كانت أشهر أصنامهم في جزيرة العرب..(اللات، العزى، ومناة الثالثة الأخرى) ..!

اللات: نسبة إلى رجل في الجاهلية كان يلِّت السويق_أي : يجهز و يخلط السويق_ ويقدمه للحجاج، فأحبه الناس لأن النفوس مجبولة على حب من أحسن إليها، وحين مات الرجل زين لهم الشيطان وزينت لهم أنفسهم أن يعظموه..!

صنعوا له قبرا، عكفوا عليه، وصنعوا له صنمًا وعبدوه...!!!

العزى: أصلها شجرة عظيمة تُعظِمها العرب، وخاصة قريش..

وكانت هذه الشجرة مابين مكة والطائف، فزينت لهم أنفسهم أن يصنعوا صنمًا،

نقشوا عليه صورة الشجرة وأسموه العزى وعبدوه من دون الله ...!

مناة: صخرة كبيرة عظيمة، كانت العرب تعظمها خاصة الأوس والخزرج وخزاعة،

وهي بين مكة والمدينة وكانت أبعد الأماكن لذا جاء وصفها (ومناة الثالثة الأخرى)

باعتبار بُعد المكان..

زينت لهم أنفسهم وعبدوا هذه الحجارة والأصنام من دون الله، فجاء التوبيخ لهم، أن هذه الآلهة القريبة أو البعيدة لا تضر ولا تنفع ولا تغني شيئا..

مجرد أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان.

والغريب أنه لم يقتصر الأمر على عبادتهم لهذه الأصنام،

بل اعتقدوا اعتقادات أخرى، ومن الافتراءات الباطلة أنهم قالوا: أن الملائكة بنات الله..!

وجاءت الآية لتنسف هذا المعتقد الباطل: ﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى ﴾ ..!

ضيزى: لفظ غريب لا يستعمله العرب كثيرا وهذا يشير إلى غرابة تلك القسمة، فالواحد منهم إذا وُلِدت له أنثى ﴿ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ ﴾..!

تسوّد الدنيا في عينيه .. فكيف تأتون وتنسبون الأنثى لله عز وجل وتنسبون لكم الذكور...!

تلك إذا قسمة جائرة ظالمة، غير عادلة وغير منصفة ...!

- و من معتقداتهم أيضا أن هذه الآلهة والملائكة ستشفع لهم عند الله ، والآيات ردت على هذا ﴿ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴾..

الملائكة وهم ملائكة مقربون، مطهرون، أبرار، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ومع ذلك لا يستطيع الملك أن يشفع لأي مخلوق إلا بشرطين..

شروط الشفاعة :

1- أن يأذن الله له أن يشفع.

2- أن يرضى الله عن المشفوع له.

فكل ما يعتقده المشركون من أن هذه الأصنام آلهة، وأن الملائكة بنات الله ستشفع لهم عند الله

كل هذا مبنيّ على الأوهام والظنون ﴿ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾.

- وما أكثر من يتبعون الظن اليوم

ويشابهون أهل الجاهلية في جاهليتهم ....!!

اليوم في عصرنا في مجتمعاتنا مازال هناك أناس يدورون في دائرة الظن والأوهام، دينهم دين الهوى، لا يستندون على علم أو أدلة صحيحة ..

أضاعوا الكثير من إيمانهم وتوحيدهم وتساهلوا في أمر الهداية .. و أصبحوا على مشارف هلكه وهم لا يعلمون ....!!

الله أرشدنا أن نطلب الهداية في كل ركعة في صلاتنا ونردد: ﴿ إهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾..

وفي الحديث القدسي: (يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته ، فاستهدوني أهدكم.....) نطلب الهداية.

النبي ﷺ كان أكثر دعاؤه خوفا من أن تُسلب هذه الهداية (يامقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك) .

الصحابة يسألون ويقولون : يا رسول الله أتخاف علينا؟ فيرد عليهم : "إن القلوب بين اصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف شاء" .

إذن قلوبنا ليست بشيء، إن لم يهدنا الله، وليس لدينا أي ضمان ألا تسلب هذه الهداية وتنتزع منا...!

كم من أُناسٍ ضلوا بعد الهداية ..!؟ وكم من أُناس زاغوا وانتكسوا وانقلبوا على أعقابهم ...!؟

نسأل الله السلامة والعافية...

ونحن في زمان أحوج ما نكون ألا نتساهل في أمر هدايتنا ..وألا نعرض إيماننا وتوحيدنا وهدايتنا لشيء من المعتقدات الفاسدة والأوهام.

* ومن التأصيل المهم في أمر الهداية معرفة بأن هذا الدين كامل قال تعالى:

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾. .الله ميزنا بهذا الدين، وهذا التوحيد، وميزنا باتباع السنة..

قالها عمر بن الخطاب : (نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فإن ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله) ديننا كامل، لانقص فيه ولا ثغرات..

ما من خير إلا دلنا عليه نبينا ﷺ ، وما من شرٍ إلا ونهانا عنه وحذرنا منه..

وبالرغم من هذا لازال البعض يبحث ويطرق أبواب دعاة الضلال و ..."بائعي الوهم" ...!

الناس لا يتورعون عن كشف الستار ونعني بذلك حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه ..

الذي علق عليه شيخ الإسلام بأنه حديث عظيم من عرفه انتفع به انتفاعا كبيرا وأغناه عن علوم كثيرة .

يقولﷺ : "ضرب الله مثلا صراطاً مستقيماً ، وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: يا أيها الناس، ادخلوا الصراط جميعا ولا تعوجوا، وداعٍ يدعو من فوق الصراط، فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئا من تلك الأبواب، قال: ويحك، لا تفتحه؛ فإنك إن تفتحه تلجه . فالصراط الإسلام، والسوران حدود الله، والأبواب المفتحة محارم الله، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله، والداعي من فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم" [1] ..

والآن نأتي لشرح الحديث:

صراطاً مستقيماً: طريقٌ مستقيم ممتد لا اعوجاج فيه، لا ميلان ولا انحناء .

وعلى جانبي الطريق سوران فيهما أبواب كثيرة متعددة مفتوحة ، ليس عليها أقفال أو مفاتيح ليس عليها إلا ستورٌ مُرخاة..!

فأي شخص قويا كان أو ضعيفا مجرد أن يسحب الستارة ويحركها سيدخل مباشرة بلا أي جهد...!

ماهي هذه الأبواب ..؟ إنها أبواب الضلال، أبواب الفساد، أبواب الفتن والمعاصي والشر وهي كثيرة مُيسرة.

وإذا نزلنا الكلام على حياتنا وواقعنا، لرأينا هذه الأبواب على اختلاف مسمياتها ..!

---

[1] صحيح الترغيب.

أنس رضي الله عنه كان يقول عن زمانه وهو من المُعمرين من الصحابة . مات وعمره تسعة وتسعين عاماً :< لو أن رجلا أدرك السلف الأول ثم بُعث اليوم ماعرف من الإسلام شيء...!>

أنس بن مالك كان خادم الرسول ﷺ فلو بُعث الآن في زماننا ماذا سيقول؟

ماذا بقي من الإسلام؟

نحن الآن في تبعية مخيفة، تركنا الصراط ، تركنا الاستقامة، تركنا الاتباع، وأقحمنا أنفسنا في أبواب الضلال من حيث نشعر ومن حيث لا نشعر...!

***اللباس والزينة:** بيوت الأزياء العالمية هي التي تحدد وتقرر ماذا نرتدي ؟ وكيف نلبس ؟ وما الجديد في الماركات والموضات ..!!

وأصبحنا نلبس على الطريقة الغربية ...!!

ونسيَ الناسُ أن اللباس في شريعتنا عبادة .. فنحن نتعبد الله بلباسنا.

***الكلام واللغة:** حتى نكون مواكبين للعصر ومن طبقة المثقفين والتنويرين علينا أن ندخل الكلمات الأجنبية والغربية في كلامنا ...!

ننسف لغتنا العربية بهذه اللغات الدخيلة دون أن نشعر..!

لا بأس من دراسة وتعلم لغة مختلفة عن العربية، ولكن الذل كل الذل أن نترك لغة القرآن التي شرفنا الله بها، ونشعر أن عزتنا بلغة غيرنا ..!!

***التغذية:** برامج المايكروبيوتك، خلطة الميزو الذهبية، اتركوا جميع المنتجات الحيوانية ، اتركوا اللبن والعسل حتى ..

لو أن رسولنا ﷺ قال عن العسل أنه شفاء اتركوه ..!

وكان يحب لحم الذراع، ويحب اللبن بل وله دعاء خاص إذا شربه: [اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه]..

ولكنهم تركوا الهدي النبوي ومنعوا كل المنتجات الحيوانية ..!

***الصحة والطب:** العلاج بالطاقة، وأسرار الطاقة، الاستشفاء بالبلورات والاستشفاء بالألوان والاستشفاء بالأشكال الهندسية والهرمية..!

حصروا الطب بهذه العجائب، أضاعوا على الناس توحيدهم بهذا الكذب، ولا علاج بالطاقة والألوان بل ورفعوا أسعار هذه الأكاذيب بشكل مبالغ وخيالي أحيانا ..!

دجل، وهم، كذب ، ظنون...!

وهذه كلها في أصلها عقائد وثنية و بوذية من الهند والصين واليابان وفيها ما فيها من الكفر والشرك والشعوذة الفكرية والطقوس السحرية .. والأوهام ..

وقد أخبرنا نبينا ﷺ أن الله لم يجعل شفاء الأمة في ما حُرم عليها..

الله حرم الشرك والكفر، حرم الدجل والشعوذة والكذب، فلن يجعل الله الشفاء في معتقدات كهذه ...!

وأكبر خدعة خُدعوا فيها أهل التوحيد دورات البرمجة اللغوية العصبية والتي للأسف دخلت حتى لمدارس تحفيظ القرآن..

دورة القراءة الضوئية كمثال.. فماهي هذه الدورة..؟

دورة تجعلك تحفظ القرآن في 3 أيام فقط ...!

حفظ القرآن بالبرمجة..!

اخشع في صلاتك بالبرمجة ..!

كُن داعياً مُلهِماً بالبرمجة ..!

عش سعيداً بالبرمجة ..!

وكُله كذبٌ صريح لن كان له عقل.

اقرأوا في دورات NLP ماهي ..؟

مزيج من الفلسفات الباطنية وفلسفات شرقية وغربية جمعوها ومن ثم صدروها لنا..

وهي قائمة على الاسترخاء والتنفس العميق ومخاطبة العقل الباطن..

وللأسف أن يحضر مثل هذه الدورات أستاذات ومشرفات وتربويات أكرمهم الله بالعلم والشهادات ..!

والكرت الذهبي الذي يلعب به أصحاب هذه الدورات هو "الثقة بالنفس"..

فإذا كان العقل الباطن يرسل رسائل بأنك تستطيع، فبالتأكيد أنت كذلك...!

ومن ثم يضيفون لها بعض المسميات الرنَّانة (أطلق العملاق، فجر طاقاتك الكامنة، سياسة الخلع .....وغيرها الكثير)..

وإليكم بعض النماذج المُبكية..

إحدى الدورات كانت لـ**"التخلص من ضغوط الحياة"**، حضرها مديرات ووكيلات ومشرفات تربويات..

قام المدرب في الدورة بخلع نعليه، ثم جلس على هيئة حصان وأخذ يمشي وطلب من جميع الحاضرات أن يحذوا حذوه وخلال المشي تردد كل واحدة أنا قوية أنا قوية ....

النتيجة: ستصبحين قوية ....!

يا خسارة العلم ...!

دورة أخرى جلس المدرب على ركبتيه ورفع يديه للأعلى وقال: تخيلوا أنفسكم بخفة الحمامة والآن ستخرج ضغوطات الحياة ...!

تخيلي نافورة تتدفق، وستخرج الضغوطات كما النافورة ...!

كيف..؟

حين نخاطب عقولنا الباطنة فنُصبح أقوياء وقادرين لأن العقل الباطن يمتلك هذه القوة اللامحدودة..!

نحن الآن نضرب أصلا في الشريعة..!

الله سبحانه وتعالى في القرآن يربينا على ماذا..؟

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾.

الله عاتب نبيه في سورة الكهف.. ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا * إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾.

النبي ﷺ وهو الذي يتنزل عليه الوحي يشكو ضعفه لربه "اللهم إني أشكوا إليك ضعف قوتي وقله حيلتي......"

دعاء الاستخارة كله افتقار : اللَّهُم إِني أَسْتَخِيرُكَ بعِلْمِكَ ، وأستقدِرُكَ بقُدْرِتك ، وأَسْأَلُكَ مِنْ فضْلِكَ العَظِيم ، فإِنَّكَ تَقْدِرُ ولا أَقْدِرُ ، وتعْلَمُ ولا أَعْلَمُ ، وَأَنتَ علاَّمُ الغُيُوبِ . اللَّهُمَّ إِنْ كنْتَ تعْلَمُ أَنَّ هذا الأمرَ خَيْرٌ لي في دِيني وَمَعَاشي وَعَاقبَةِ أَمْرِي » أَوْ قالَ : « عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِله ، فاقْدُرْهُ لي وَيَسِّرْهُ لي، ثمَّ بَارِكْ لي فِيهِ ، وَإِن كُنْتَ تعْلمُ أَنَّ هذَا الأَمْرَ شرٌّ لي في دِيني وَمَعاشي وَعَاقبةِ أَمَرِي » أَو قال : « عَاجِل أَمري وآجِلهِ ، فاصْرِفهُ عَني ، وَاصْرفني عَنهُ، وَاقدُرْ لي الخَيرَ حَيْثُ كانَ ، ثُمَّ رَضِّني بِهِ » قال : ويسمِّي حاجته [1].

كل صباح ومساء نردد : " يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين".

كل هذه النصوص تُربينا على الاعتراف بالفقر والعجز وأنه يارب إن لم تعنا لن نُعان ، وان لم تقوينا لن نقوى.

وهذه الدورات تضرب هذا الأصل وتُركِّز وتُرسخ قوة الذات والعقل الباطن.

يجب علينا أن ندرك بأن أعداءنا لن يتركوا لنا شيئا يمس عقيدتنا وتوحيدنا وإيماننا بالغيب، وإيماننا بالقضاء والقدر إلا ويعبثوا لنا به ..

قال تعالى : ﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ﴾.

إذن علينا ألا نتساهل في أمر الهداية فلا ضمان لدينا بأنها لن تسلب...!

تأمل الراسخون في دعاؤهم .. ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾.. يخافون من زيغ القلوب وروغانها.

---

[1] رواه البخاري.

وهم علماء وصالحون فنحن من باب أولى .. فقلوبنا أخفُ من ريشة تُقلبها الريح... يامُقب القلوب ثبت قلوبنا على دينك..

⇦ **وهذه بعض المواقع المفيدة:**

موقع البيضاء باشراف د.هيفاء الرشيد.

موقع سبيلي باشراف د.رامي عفيفي.

موقع الفكر العقدي الوافد بإشراف د.فوز كردي.

كتاب التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية د.هيفاء الرشيد.

كتاب المشي على الجمر د.هيفاء الرشيد.

كتاب الوثنية في ثوبها الجديد د.نجاح الظهار.

مقالات وأسئلة للمذاهب الباطنية لـ خلود السالم.

وبهذا نختم وقفتنا التدبرية بأنه كما كان الجاهليون قديما يدورون حول الأوهام والظنون يوجد الآن من يحذو حذوهم ولكنها جاهلية حديثة...!

قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾.

هذه الآية تقرر قاعدة عظيمة ومهمة وهي ⇦ **الجزاء من جنس العمل.**

إن كان هناك أهل ضلال وغواية وفساد واتباع للأوهام والظنون.

هناك أيضا أهل صلاح واستقامة وهداية واتباع للحق والسنة.

وكلا سيُجازى بعمله، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر.

نقف قليلا مع نهاية الآية :

﴿ وَيَجْزِىَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾..

لفظ الإحسان تكرر كثيرا في القرآن و كما يقولون الطريق فيه منارات وعلامات، والمحسنون لهم علامات وأوصاف وأحوال وأخلاق..

ندلف إلى عالمهم قليلا.. لعل الله أن يمن علينا ونلحق بركبهم.

⇦ سنتحدث في هذه الوقفة عن:

1- جزاءات الإحسان

2- تعريف الإحسان

3- أنواع الإحسان

4- صفات المحسنين

1- جزاءات الإحسان في القرآن:

⇦ أولها الرحمة :

قال تعالى : **﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾.**

رحمة الله قريبة منك بقدر إحسانك، وكلما ازداد إحسانك زاد نصيبك من هذه الرحمة...

الرحمة تغمر الكثير من الناس، ولكن المحسنين لهم الحظ الأوفر الذي ليس لغيرهم، ومن رحمه الله لن يضل ولن يشقى ولن تضيق عليه الدنيا...!

وإن ضاقت فسرعان ما يتداركه ربه برحمته ويجعل له فرجا ومخرجا مما أصابه

⇦ ثانيها المحبة:

قال تعالى: **﴿ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾** وأيُّ حُب...!

حب يرزقون به الولاية..

والولاية بتعريف بسيط: أن هذا العبد بنى صلةً مع الله وتعرّض لمحبة الله.

ويكفينا حديث واحد ، بل عبارة واحدة في ذلك الحديث، لنتذوق أثر هذه الولاية، وهو الحديث الذي يسميه أهل العلم حديث الولي..

قال رسول الله - ﷺ **-** : إن الله قال (من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب .....)...

لم يقل الله تعالى: (من عادى وليا).!

بل قال ﷻ : (من عادى لي وليا) .

يقول أهل العلم كلمة (لي) تُكتب بماء الذهب...! وهي تُشعر بالقرب والخصوصية !...

ومعنى الحديث: أي أنه بمجرد أن يُؤذى هذا الولي سيتولى الله الدفاع عنه وهذا شيء عظيم ومرتبة كبيرة ومقام عالي جدا.

وهذه المقامات والمنازل الرفيعة لا تأتي خبط عشواء وحظوظ عمياء ...! بل لها أسباب ومقدمات من أخذ بها وسلك الطرق سيوصله الله لمقصوده إن كان صادقا..

ومقام الإحسان بالذات يحتاج إلى بذل وصبر ومصابرة ومجاهدة

وهنا قاعدة متعلقة بالجزاءات:

" كل الجزاءات المتعلقة بالأوصاف تزيد بزيادة الوصف "..

فكلما زاد إحسانك "وصف" ⇦ **زاد قرب الله منك** "جزاء"

كلما زاد إحسانك "وصف" ⇦ **زاد حب الله لك** "جزاء"

كلما زاد الوصف زاد الجزاء.

⇦ ثالثها لسلامة والسلام:

قال تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ 120 إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

قال تعالى: ﴿ سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ 130 إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾.

المحسنون لهم من السلامة مالايبلغه غيرهم ...!

وكم هي نعمة الله على العبد حين يُسلِّمه ربه من شر نفسه..! ومن شر الناس ، لايؤذيهم ولايؤذونه..

كما في الحديث : المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.

لايكون سبابا ولا شتاما ولا نمامًا ولا مُغتابًا ولا مُنافقًا،

إنما يأمنه الناس على أسرارهم، أعراضهم، بيوتهم، وأموالهم وكل شيء...

كم هي نعمة الله على العبد حين يرزقه السلامة القلبية ..

فيسلمه له من الخبث والدغل والخراب فإن أكبر مصيبة في هذه الدنيا أن يعيش الإنسان بقلب خرِب...!

كم هي نعمة الله على العبد حين يعيش هذا الإنسان أنه مصدر سلام لغيره مثل ما جاء في وصف المؤمن أنه كالعطار إن ماشيته نفعك وإن جالسته نفعك وإن شاركته نفعك ولا تأخذ منه إلا الطيب.

وكما وصف الرسول ﷺ بلال رضي الله عنه وشبهه: [مثل بلال كمثل النحلة، غدت تأكل من الحلو والمر ثم هو حلو كله][1].

النحلة لا تُفسد ولا تُخرج إلا العسل والشهد ..

وهكذا من نعم الله على العبد أن يجعله مصدر سلام لمن حوله لا يؤذي ولا يخرج منه إلا الطيب

وهذه صورة من صور سلام الدنيا فكيف بسلام الآخرة...! يارب نسألك من فضلك...

---

[1] الدر المنثور.

⇦ رابعها الحكمة والعلم:

الله تعالى يقول في قصة موسى عليه السلام: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ 14﴾

إذا اجتمعت الحكمة والعلم فهذا قمة الفضل وقمة العطاء..

والله يقول: ﴿ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ... ﴾.

وكثير من مشاكلنا في منازلنا وعلاقاتنا إنما تكون بسبب افتقاد الحكمة...!!

⇦ خامسها الهداية والمعية:

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ 69﴾.

سيهديهم الله إلى كل طريق يوصل إليه..!

لهم معيةٌ خاصة، قربٌ خاص، لطفٌ خاص..

يتخطون العقبات والشواغل والقواطع في سيرهم إلى الله..

يعينهم الله لأن ⇦ كل مجاهد موعود بالتوفيق.

⇦ سادسها مضاعفة الأجور:

قال رسول الله ﷺ قال: [إذا أحسن أحدكم إسلامه، فكل حسنة يعملها تكتب له بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف][1].

بمعنى أن الإحسان سبب من أسباب مضاعفة الثواب.

يقول تعالى: ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾.

---

[1] صحيح مسلم.

قال ابن كثير معلقًا على هذه الآية: هي تضعيف ثواب الأعمال إلى سبعمائة ضعف إلى أكثر من ذلك..!

فرق بين من يصلي وبين من يُحسن في صلاته...!

فرق بين من يصوم وبين من يُحسن في صيامه...!

على قدر الإحسان تأتي المضاعفة ﴿ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾..!

السؤال ..ماهي الزيادة هنا..؟

فالمحسنون لهم الرحمة، السلام، الحكمة، العلم، المحبة، ماذا بقي..؟

الجواب: فضل الله لا حد له ولا منتهى .. يزيد ويزيد ويزيد ..

وكما قال ابن السعدي: كما أن الله أوصافه لا نهاية لها ، فأيضا لا نهاية لبره ولا إحسانه سبحانه وبحمده.

ويعلق أيضا ابن كثير: سيزيد المحسنين على ما أعطاهم من الجنان والقصور والحور والرضا ، وما أخفاه لهم من قرة أعين، وأفضل من ذلك وأعلاه النظر إلى وجهه الكريم.

هذه بعض جزاءات الإحسان..

فيارب أوصلنا لمقام الإحسان واجعلنا من المحسنين.

2- تعريف الإحسان:

مُشتق من الحُسن، وهو أن تأتي المطلوب منك على وجه حسن ومتقن.

فليست العبرة بكثرة الأعمال بل بأحسنها قال تعالى : ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾.

هذا الإحسان والإتقان يحبه الله [إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه [1]].

---

[1] السلسلة الصحيحة.

إذن الإحسان هو: إكمال العبادة وإتقانها وإتمامها ، مع حضور القلب فيها يجتمع عمل القلب مع عمل الجوارح.

بمعنى آخر: تستقيم لله وتحقق العبودية ظاهراً وباطناً.

ويوجد ثلاث مراتب للإحسان:

1. هناك من يعمل العمل خوفًا من الله ، من عذابه، وطمعًا في جنته..

⇦ هذا الخوف يجعله يُتقن العمل ويحسن فيه، ويبتعد عن الفواحش.

2. الشكر وهي درجة أعلى من الخوف ، نعم هو يخاف ويرجو رحمة ربه ويطمع في جنته ولكنه يجمع مع هذا الشكر حتى يوفي الله حقه كما قال ﷺ " أفلا أكون عبدًا شكورًا"..

هذا المُحسن يستحضر : ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ* وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ* وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾.

قال تعالى : ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ﴾.

الشكر يزيد الإتقان، ويزيد مرتبة الإحسان لأنه يدل على أن هذا القلب كسرته النعمة، يشعر بأرزاق الله وأفضاله صغيرها قبل كبيرها

ولو وصفنا قلب الشاكر لقلنا ⇦ **" قلبٌ مُوفق عرف كيف يتعامل مع الله ..!"**

3. هناك المرتبة الأكمل والأعلى والأتَّم : من يعمل العمل حُبًا لله

هذا الحب يبلغ به العبد غاية الإتقان، ويتذوق به حلاوة الإيمان... ومن ذاق حلاوة الإيمان ، وذاق حلاوة الأُنس بالله، لم يجد لهذه اللذة عوضًا في كل ملذات الدنيا...!

ليس النعيم بمأكل أو مشرب   إن النعيم حلاوة الإيمان

هم أنزلوا قلوبهم منزلة المحبة، يعملون حُبا لله ولرسوله..

ابن عمر رضي الله عنه كان يلبس النعال السبتية _وهو نوع من الجلد_ قالوا: يا ابن عمر نراك تديم لبسها؟ قال: لأن رسول الله ﷺ يحبها فأحببتها.

صحابي آخر يحب ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ ويردد ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ ويختم صلاته بها ولما سُئِل قال: فيها صفة الرحمن وأنا أحبها ، قال ﷺ : أخبروه أن الله يُحبه بحبه لها...!

أحبوا الصلاة لأن النبي ﷺ أحبها وقال: [وجُعلت قرة عيني في الصلاة].

فهاهو ذلك الصحابي يصلي ، فيصيبه السهم ويخترق جسمه فينزف وتتطاير الدماء فلا يقطع صلاته بل يتمها ثم يقول: افتتحت سورة وما أحببت أن أقطعها..!

إنه الحب الذي يوصل لمرتبة المشاهدة فيتخايل الله بين عينيه في أي عبادةٍ يؤديها ..!

3- أنواع الإحسان:

إحسان مع الله: إتقان العبادات.

إحسان مع الخلق: بكل أنواع الإحسان والبر والأخلاق.

وفي الآية: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى ﴾ لم تحدد بل هي جميع أنواع الإحسان.

وأكمل الناس عبودية من جُمع له بين المقامين : الإحسان إلى الله إلى الخلق..

4- صفات المحسنين:

يقول أهل التدبر: من أراد أن يعرف صفات المحسنين فليتدبر سورة يوسف

الله وصفه بالإحسان، وصاحبي السجن وصفوه بالإحسان ، إخوته كذلك وصفوه بالإحسان وكل أفعاله في السورة تدل على الإحسان.

نعدد الآن بعضا من صفاته وصفات المحسنين:

❍ قوة الصلة بالله والتعلق بالله.

وهذا واضح في جميع مراحل قصة يوسف عليه السلام، هذا الارتباط الوثيق وهذه الصلة بحيث كلما عرضت له حاجة أو أصيب بابتلاء جديد ينقطع لله ويستعين بالله..

وهذا الارتباط في حد ذاته طمأنينة وسكينة من جهة، ويزيد من كفالة الله وتوليه لعبده من جهة أخرى.

ومن المعروف أن الهبات والمنح والعطايا الكبيرة التي تعطى للعبد إنما هي من بركات اللجوء إلى الله عزوجل، والتوكل عليه وتفويض الأمور كلها إليه.

❍ سرعة الرفض للمعصية والهروب منها:

لأن مقام الإحسان يحتاج إلى أصل كبير يقوم في قلب العبد وهو "حياؤه من الله" تقديره وإجلاله لنظر الله..

لذا يوسف عليه السلام حين راودته امرأة العزيز، وغلَّقت الأبواب وقالت هيت لك، قال: معاذ الله .. وهذا ردٌ مباشر، فوري و سريع..

فالنفس أمارة بالسوء ، وضعيفة فإن أي بادرة تردد قد تكون مُهلكة ...!

لذا فلتكن كيوسف عليه السلام حين كان سريع الرفض أمام الحرام، أمام الشهوة ولم يعط نفسه أدنى فرصة أو تفكير...!

❍ عفة اللسان:

وهي صفة مميزة وكاشفة للمحسنين.

يوسف عليه السلام لما أرسل إليه رسول الملك ماذا قال؟

﴿ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ.. ﴾ ولم يقل **(اللاتي راودنني وفعلن وفعلن)..!**

بل تعفف عن لفظ المراودة..!

ومرة أخرى مع أبيه يعقوب عليه السلام: ﴿ وقد أحسن بى إذ أخرجنى من السجن ﴾.

ولم يذكر قصة البئر...!

وحين قال: ﴿ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ﴾ رغم أن الشيطان لم ينزغ يوسف عليه السلام بل نزغ اخوته ، لكنها عفة اللسان ...!

○ الإحسان إلى الخلق:

وهذا واضح في قصة يوسف عليه السلام

* مع الملك حين عبَّر الرؤيا .

* أحسن إلى أهل مصر حين أمسك بخزائنها في وقت الجدب والقحط وقلة الأمطار

*أحسن إلى إخوته وعفا عفوًا مباشرا.

* أحسن إلى السجينين حتى قالا : (إنا نراك من المحسنين) قيل لأنهم:

رأوا من أخلاق يوسف وتعاملاته وأخلاقه من الحسن لدرجة أنه أنزلهما منزلة الصاحب (يا صاحبي السجن) .

وقيل أيضا ان الإحسان ينطبع على وجه صاحبه، مهما حاول المحسن إخفاء إحسانه.

يُخفي صنائعه والله يُظهرها   إن الجميلَ إذا أخفيتَه ظهرا

- أحسن في النصح:

وهنا قاعدة: (كل ناصح فهو مُحسن) والمقصود به من صدق في نصحه.

يوسف عليه السلام كان صادقا في نصحه، فهو لم يعبر الرؤيا فقط بل دلهم كيف يستطيعون تجاوز المجاعة.

* ورد في السيرة أن جرير بن عبد الله رضي الله عنه أرسل غلاما يشتري له فرسا، فاشتراه له بـ ثلاثمائة درهم وجاء به وبصاحبه لينقده الثمن ، فقال جرير لصاحب الفرس : فرسك خير من ثلاثمائة درهم أتبيعه بأربعمائة ؟ قال ذلك إليك يا أبا عبد الله ، فقال فرسك خير من ذلك أتبيعه بخمسمائة ، ثم لم يزل يزيده مائة فمائة وصاحبه يرضى وجرير يقول فرسك خير إلى أن بلغ ثمانمائة درهم

فاشتراه بها ، فقيل له في ذلك ، فقال إني بايعت رسول الله ﷺ على النصح لكل مسلم .

إذن يُحسنون في نصحهم للناس ويعلمون أن ما عند الله يُشترى بالإحسان إلى خلقه، والإحسان لا يموت. و..((كما تكون للناس يكون الله لك)).

❍ الانتصار على النفس:

لا يمكن للإنسان أن يصل إلى مرتبة الإحسان دون أن ينتصر على نفسه .

عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم يكن له وقت ينام فيه، فقيل له: يا أمير المؤمنين، ألا تنام؟ فقال: كيف أنام؟! إن نمت بالنهار، ضيّعت رعيتي، وإن نمت بالليل ضيعت نفسي...! هذا انتصار على النفس.

الشيخ بن باز رحمه الله وصل عمره (93 سنة) وكان ينام أربع ساعات فقط

وبقية العشرين ساعة في اليوم مابين تعليم، ودعوة، وأمر بمعروف ونهي عن منكر...! هذا انتصار على النفس.

الشيخ الشنقيطي صاحب كتاب أضواء البيان ما كان أحد يجرؤ على أن يغتاب في مجلسه...! هذا انتصار على النفس.

الإمام الشافعي يقول: ما كذبت منذ علمت أن الكذب حرام...!

البخاري يقول: أرجو أن ألقى الله ولا أحد يطالبني بشيء لأني اغتبته وقد توفي عن عمر يناهز الثالثة أو الرابعة والستين ولم يغتب أحدا...! أي انتصار هذا..؟

الإمام النووي في اليوم الواحد يحضر اثنا عشر درسا، ولا ينام إلا إذا غلبه النوم جدا..!

قالوا في ترجمته كان "ليثًا" على نفسه..!

كل من استطاعوا أن يقفوا أمام نزغات الشيطان، ونزغات العجز و الكسل وأمام العادات التي تجعل منهم عبيدا للهوى، هؤلاء انتصروا على أنفسهم..

وكل من لا يستطيع أن يقول لنفسه " لا " لن يصل إلى مرتبة الإحسان ...!

الإنسان حين تعرض له معصية أو شهوة يكون بين داعيين: داعي العقل وداعي الهوى..

فإن كنت في كل مرة تُغلِّب داعي الهوى على داعي العقل، فسيكبر داعي الهوى في نفسك ويقوى وتصبح نفسك ضعيفة لا تقف أمام مغريات ولا تستطيع أن تقول "لا" لأي منكر..

و ينفسخ عزم القلب..!

أي أن صوت الضمير والعقل والنفس اللوامة يخفت ويخبو..

لذا علينا أن نكون أقوياء في بناء أنفسنا بناءًا إيمانيا ..

يبدأ أول مايبدأ باستعانتنا بالله (اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها).. قد يقع المحسن مرة ، ومرتين ولكنه لا يُغلب كل مرة ...!

بل يُغَلِّب العقل ويقطع الطريق على الهوى .

وأول مايرزق من الأرزاق إن كان كذلك ، أنه يتذوق طعم الأنس بالله وهذه ثمرة عاجلة لهذا القلب الذي ترك شيئا لله..

وهذه الأرزاق الخفية تكون على مقدار القوة والصدق في الترك : ﴿ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ 35﴾.

❍ اجتناب الكبائر والفواحش:

*إن وقعوا في الذنب وهذا وارد، إلا أنه ليس لديهم إصرار على الذنب.

*ثم إذا أذنبوا لا يستطيعون التلذذ بالذنب لذة كاملة، بل يخالط قلوبهم بعد الانتهاء منه شيء من الحزن والكدر والحسرة.

*سريعي التوبة والأوبة والرجوع، وهذه السرعة ترمم ما هُدم من الإيمان.

*يجتنبون الكبائر قدر المستطاع لأنهم يعلمون أنها موبقة ومهلكة، تفتت الإيمان وتسلبه وتنزعه نزعا

الكبائر بالذات تُسقط العبد من عين الله، وإذا سقط العبد من عين الله أسقطه الله من قلوب عباده، فيعيش في هذه الدنيا مسلوب الكرامة ليس له قدر أو مكانة أو منزلة عند الناس

﴿ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾.

كل ساقط فهو مهان، والكبائر تسقط بأصحابها.

أيضا الكبائر توهن القلب والبدن، فيصعب على صاحبها العبادة وتثقل عليه.

لذلك المحسنون يبتعدون عن الكبائر لأن شؤمها ومغبتها كبيرة.

الآية التي وقفنا عندها في السابق تحدثنا فيها عن الإحسان و المحسنين وأنه نهاية وتمام الإخلاص..

الذين أحسنوا ← هم الذين أخلصوا وصدقوا ووفوا بأعمالهم وأتوا بها على الوجه الأحسن والأوفى والأتم والأكمل..

أشارت الآية إلى أمر قد يبطل ويحبط هذا الإخلاص وهذا الإحسان : ﴿ فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ ﴾..

ذكرهم بأصل خلقهم وأنهم مخلوقون من طين: ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ ﴾..

وليسوا مثل الملائكة قد خلقوا من نور ، فتكونوا في غاية الصفاء والنقاء والشفافية ... و الطين ليس شفافا ولا أبيضا ولا نقيا...!

لذا أنتم مجبولون على النقص وعلى الضعف وعلى الخطأ المرة تلو المرة..

لستم كُمّل فعلام تزكون أنفسكم وترفعونها وتترفعون بها...!

✦ تزكية النفس في القرآن جاءت على وجهين ←المدح والذم.

المدح: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ ﴿ قَدْ أَفلَحَ مَن تَزَكَّى ﴾.

أقسم الله بالفلاح لمن زكى نفسه، من أصلحها واستصلحها وقومها من اعوجاج وهذبها ونقاها

والتزكية المقصودة هنا: تطهيرها وتنقيتها وتصفيتها من الشوائب والرذائل والقبائح والسفاسف ومن ثم إعمارها بالفضائل والأخلاق والخير..

هذا المعنى ممدوح وهو أمر يحبه الله..

فالله يحب معالي الأمور ويكره سفسافها وهو سعيٌ للكمال.. ذكر الله ثوابه في القرآن : ﴿ جناتُ عدنٍ تَجرِي مِن تَحتِها الأنهار خَالِدِينَ فيها وَ ذَلِكَ جَزَآءُ مَن تَزكّى﴾.

⇦ بينما التزكية المذمومة التي نهانا الله سبحانه وتعالى عنها في قوله تعالى : ﴿فَـلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُم هُو أَعْلَمُ بِمَن أَتَّقَى﴾.

المقصود بها← الرضى عن النفس، إحساس الإنسان بالتميز وأن لديه ماليس لغيره، فيصحبه شعور بالافتخار وبالعجب والغرور..

ومن ثم يصبح عنده فرح واستئناس بما يصدر منه من أعمال، فيحب أن يمدح نفسه ويحب مدح الناس له.

⇦ هذا الإحساس بحد ذاته مرض قلبي خطير

مشكلة هذا المرض أنه لايبحث عن قلوب الخاملين والكسالى...!!

⇦ **ولكن خطورته** انه يبحث عن قلوب المبدعين، والمجتهدين والناصحين المتميزين

يبحث عن قلوبهم فينتشر فيها كما ينتشر المرض الخبيث في الجسد حتى يتمكن منه..

طبعا مجال الدعوة والعلم والتعليم مجال خصب لهذا المرض، مجال للعجب بالنفس والاغترار بها..

يتسلل هذا المرض إلى القلب شيئا فشيئا حتى يصبح عند الشخص حب المدح من الناس ثم نهم شديد لعبارات المدح والثناء والإعجاب، ثم ربما يزيد تفشي المرض بحيث يبدأ هذا الشخص _من حيث لا يشعر _ بطلب تسهيلات وخدمات واحترامات وامتيازات ويدخل في دائرة أن الدين يخدمه، لا أنه هو من يخدم الدين...!!

وهذا هو الهلاك، وقد قال النبي ﷺ: [ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب كُل ذي رأيٍ بنفسه[1]].. والهلاك هنا انهم جميعا يؤتون من قبل أنفسهم نعوذ بالله من الخذلان..

من صدق نفسه واغتر بها أوردته المهالك.. نعوذ بالله من الخذلان....

← وهذه قصة لصورة من صور الهلاك التي من الممكن أن تحدث للإنسان إذا تشرب قلبه هذا المرض..

---

[1] السلسلة الصحيحة.

" يحكي أحد علماء العراق عن شاب عندهم كان قمة في النشاط في الدعوة، كان متمكنا من العلم تمكن عجيب، فدخل عليه الشيطان من هذا الباب (باب الاعجاب بنفسه)... فأصبح لايقبل إلا رأيه واستدرجه الشيطان من هذا الباب...

فبدأ يعتزل أصحابه من طلبة العلم، اعتزل شيوخه، حلقات العلم التي كان يدرس بها ... لأن كل مافيها مكرر يعرفه وقد تعلمه...

ثم اعتزل المسجد ومازال الشيطان به حتى وصل أنه كان يدخن في نهار رمضان ثم ترك الصلاة ثم انتهت حياته بأن انتحر..! "

كان داعية، كان قمة في النشاط في الدين في العلم لكنه ترك مجالا للشيطان أن يدخل..!

لذلك....

كان النبي ﷺ وهو سيد ولد آدم، وأكمل الناس خشية وصدقا وعبودية وأحق من يمدح ويثنى عليه لا يحب المدح وينهى عنه..!

ويقول:[لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله[1]] ..

وقال: [إنما أنا عبد، آكل كما يأكل العبد ، وأجلس كما يجلس العبد [2]]..

لما سمع أن "زينب بنت أم سلمة" كان اسمها "برة" قال ﷺ - : [لا تزكوا أنفسكم فإن الله أعلم بأهل البر منكم . قالوا : ما نسميها ؟ قال : سموها زينب [3]]..

والمتتبع للقرآن يرى أن القرآن يربي فيها كثيرا هذا الجانب..

مثال:

إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن الذي وصل إلى مرتبة الخُلة ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾.

---

[1] صحيح البخاري.
[2] تخريج الأحياء.
[3] سنن ابي داوود.

ولا يقال للعبد أنه خليل إلا إذا تخللت المحبة مسام وشعب قلبه وملأتها..

الخلة : وهي غاية الحب ..... فالله يحبه غاية الحب..

هذا النبي الكريم الذي وصل إلى هذه المنزلة هاهو بعد أن بنى الكعبة ورفع قواعدها

و أي عمل أكبر وأسمى وأشرف من أن يبني قواعد هذا البيت ومع ذلك يتطامن يتواضع، يتذلل يفتقر ويدعو : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

< كان وهيب بن الورد إذا قرأ هذه الآية يبكي ويقول: يا خليل الرحمن ترفع قوائم بيت الرحمن وأنت مشفق ألا يتقبل منگ! >..

في سورة البقرة في آيات الحج موطن عجيب يجعل الإنسان يقف معه...

لا يوجد موطن يكاد يكون فيه الإنسان أقرب إلى عفو الله ورحمته وموعود بأنه سيخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وتعتق فيه رقبته من موقف الوقوف بيوم عرفة..!

شعور اللحظات الأخيرة من يوم عرفة _والذي يعرفه كل من حج_ حين تختلط المشاعر والدموع فرحٌ ورجاء وخوف وافتقار وانكسار ...!

وامتنان واعتراف بنعمة الله ....

ومع ذلك لايستطيع أي احد من الحجاج أن يزكي نفسه ويقول أن لديه ضمان بانه قُبل..!

بل القرآن يربي هؤلاء الحجاج بهذه التربية العجيبة : ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.. **اختموا عملكم ويومكم ودموعكم بالاستغفار....!!**

لماذا الاستغفار الآن؟

وهم كانوا في أعظم موقف .. و في أطهر الأماكن .... موقف يقول الله فيه (غفرت لكم)؟؟

حتى يبقى المؤمن بين الخوف والرجاء، حتى لايتطرق العجب إلى قلبه..

يستغفر حتى يبقى على افتقاره وانكساره بين يدي ربه ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ... ﴾.

⇦ الإمام أحمد في لحظات احتضاره الأخيره والناس حوله، وكانت تأخذه إغماءة، فيقولون يا إمام قل لا إله إلا الله فيقول: لا بعد، لا بعد ... فعجب الناس..!!

فلما أفاق قالوا له: نقول لك قل لاإله إلا الله وتقول: لا بعد ...!

قال: إن الشيطان كان يقول لي فُتني يأحمد، فتني يأحمد "أي ستموت الآن ولم أستطع فتنتك وإغوائك"..

فيرد عليه الإمام: لا بعد " مادامت الروح موجودة فبإمكانك أن تضلني..!"

لم يغتر بعلمه وأنه إمام أهل السنة والجماعة وإمام المحدثين .. والعالم والفقيه...

لم يغتر بجهاده الطويل وصبره على البلاء والمحن ، وكيف كان يُجلد وهو صائم حتى يقول أن القرآن مخلوق..! كم صبر على السجن والجلد والتعذيب حتى لا يضل الناس..

وإلى آخر لحظة في حياته لم يستطع أن يزكي نفسه، وأن يعطي نفسه الأمان والضمان بالنجاة ...

(كم من سراج أطفأهُ العجب..!)

صاحب العبادة، صاحب الطاعة يكسوه الله نور...

كل مأدى عبادة يزداد النور..

أحياناً يكون النور في وجهه... أحياناً يكون النور بزيادة البركة في أعماله..

أحياناً يكون بزيادة البركة في رزقه وماله...

فإذا جاء العُجب ودخل انقطع كل هذا ...

فتصبح العبادات مالها أي قيمة في قلبه وهذا يفسر كلمة ابن القيم " **بين القلب وبين العمل مسافة"** ← بمعنى أنه حتى يصل أثر العمل على القلب يوجد طريق ويجب أن يكون سالك ونظيف ليس به قُطاع..

وأكبر قطاع الطريق هذه الآفات والأمراض القلبية (العجب، الكبر، الحسد، الرياء، النفاق.....)

لذلك كان الصحابة رضوان الله عليهم يحملون هَمْ قلوبهم وسرائرهم،،،

يعلمون أن قلوبهم هي محل نظر الرب عزوجل وأن هذه المضغة هي أغلى شيء يملكونه...

قيل لابن عمر: " ياخير الناس وابن خير الناس فقال: مأأنا بخيرالناس ولاابن خير الناس ولكن عبدالله أخافه وأرجوه والله لن تزالوا بالرجل حتى تهلكوه [1]! "

فالأصل أن الإنسان لا يأمن نفسه، ولا يطمئن ولايركن لها..

وقد قال النبي ﷺ للرجل الذي اخذ يمدح ويثني ويبالغ في مدح صاحبه (ويلك قطعت عنق أخيك[2])...!

وفي حديث " المدح الذبح " لماذا؟

لأن المدح ينسي الإنسان عيوبه وينسيه أخطاءه وسيئاته ← فيقوى عليه الشيطان ويغلق عليه باب النصح فلا يقبله إلا بصعوبة..! وهذه علامة كاشفة لمن في قلبه دبيب من عجب..! أنه لايقبل النصيحة أبدا...!

وانظر الفرق بين الصحابة وخوفهم وهروبهم من المدح وبين من أصابه هذا المرض بل تمكن منه ...

فذاك الرجل الذي غرف من العلم غرفاً وكانت الأصابع تُشير اليه ..مدحوه حتى على المنابر وفي المجالس فتعاظم في نفسه حتى قال: (لو أن ماعندي من العلم والفضل يقسم في الآفاق لأغنى عن الرسل).[4]..!!!

---

[1] يحتاج تخريج.

[2] صحيح البخاري.

[3] صحيح الأدب المفرد

[4] المقصود به عبدالله القصيمي.

ويذكر ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية أن أحد الولاة خطب خطبة بليغة أعجب بها الناس أيما إعجاب فأخذوا يدعون له ويقولون:كثر الله من أمثالك في الناس فرد عليهم: لقد كلفتم الله شططا..! وكأنه لا يمكن أن يأتي مثله..!

نعوذ بالله....

مثل هؤلاء نسوا تماما أنهم:

1- خرجوا من بطون أمهاتهم لايعلمون شيئا وأن الله علمهم ورزقهم

قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (78)

2- لولا أن الله ساق لهم الأسباب وهيئها لهم ونفعهم بها ماستطاعوا أن يفعلوا شيئا، ولا أن يقولوا شيئا، ولا أن يكونوا شيئا

﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾.

وكلما كان الإنسان أكثر إخلاصا، وكان من المتقين، والمخلصين والصادقين لايزكي نفسه بل يعلم يقينا أن الله يزكي من يشاء من عباده ..

فيتعاهدون قلوبهم دائما ، يخافون عليها، يسعون لصلاحها، ودفع هذا المرض الخطير عنها...

ولكن كيف ذلك...؟

1- **يسألون الله صلاح الباطن** والسريرة والنية..

2- **يحملون هم قبول العمل**، لأنهم يعلمون أن القبول مشروط بشرط ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾.

3- **يعملون بصمت**، اكتفوا بقيومية الله ونظره وسمعه وإحاطته بعملهم وأن الله لايضيع أجر من أحسن عملا، ولأن الله شكور يشكر للعبد أعماله ولو لم يتكلم عنها ويظهرها للناس

4-**غالبا يكرهون مدح الناس**، بل ويدفعونه عنهم ،لأن الناس لهم الظاهر والله يعلم السرائر..

كان أبو بكر رضي الله عنه إذا مُدح قال: (اللّهم أنت أعلم بي من نفسي وأنا أعلم بنفسي منهم اللّهم اجعلني خيراً مما يظنون واغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون).

5- **يكرهون أن يلبسهم الناس ثوبا فضفاضا** لأنهم يعلمون في قرارة أنفسهم أنهم لايستحقون هذه المكانة وماهو إلا ستر الله عليهم...

كان ابن مسعود رضي الله عنه يقول: (لو تعلمون ذنوبي ما وطئ عقبي اثنان، ولحثيتم التراب على رأسي).

6- **يستقزمون هذه الأهداف الصغيرة** (حب الناس، حب الشهرة، المكانة، غلبة الأقران....)ولا يأبهون لها و يسألون الله أن يخلصهم من شرور أنفسهم و سيئات أعمالهم ...

ويسألون الله أن يزكي لهم أنفسهم ، ويلهجون بدعاء النبي ﷺ:[اللهم آتِ نفوسنا تقواها وزكها أنت خيرُ من زكّاها .. أنت وليها ومولاها].. [اللهم ملكنا أنفسنا بخير ولا تُسلطها علينا بِشر]..

ثم يأتي المقطع الأخير في سورة النجم، وفيه تجتمع خلاصات التوحيد بشكل حكيم وقصير....

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِى تَوَلَّى 33 وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى 34 أَعِنْدَهُ
عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى 35 أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى 36
وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِى وَفَّى 37 أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى 38 وَأَنْ لَيْسَ
لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى 39 وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى 40 ثُمَّ يُجْزَاهُ
الْجَزَاءَ الْأَوْفَى 41 وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى 42 وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ
وَأَبْكَى 43 وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا 44 وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ
وَالْأُنْثَى 45 مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى 46 وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى
47 وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى 48 وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى 49 وَأَنَّهُ
أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى 50 وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى 51 وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ
إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى 52 وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى 53 فَغَشَّاهَا
مَا غَشَّى 54 فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى 55 هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ
الْأُولَى 56 أَزِفَتِ الْآزِفَةُ 57 لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ 58
أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ 59 وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ 60
وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ 61 فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا 62 ﴾

ذكرت الآيات نموذج بشري عاش في المحتمع الجاهلي في قريش وهو الوليد بن المغيرة... وهو من أشياخ قريش، جلس إلى النبيﷺ وقرأ عليه القرآن فسمعه وتأثر به تأثرا بالغًا حتى لكأن قلبه مال قليلا إلى الإسلام وخشي من العذاب..!

فلما قام من عند النبي ﷺ لقيه رجل من المشركين ورأى ميله إلى الإسلام وحين عيّره وعاتبه رد عليه الوليد وقال: إني أخاف عذاب اللّه. فقال: أعطني بعض مالك وأنا أحمل عنك العذاب..!

فأعطاه الوليد مالاً (بقدر معلوم اتفقوا عليه) دفع بعضه وأخر بعضه..

وحين ضمن أن هذا الرجل سيحمل عنه العذاب ، رجع مرة أخرى يعادي الإسلام ويتكلم عنه، ولما رجع الرجل يطلب بقية المال ليحمل عنه العذاب أكدى عليه الوليد _أي امتنع وتعاسر عليه_

﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِى تَوَلَّى 33 وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى 34 أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى 35 ﴾

كيف يُجيز هذا الرجل الأحمق _الوليد بن المغيرة_ افتداء نفسه من عذاب الآخرة بمال يدفعه لشخص آخر يتحمل عنه العذاب..!

هل كان على علم بحقائق الغيب كيف تجري يوم القيامة..؟

هل عنده علم كيف تنصب موازين الحساب؟

هو لم يؤمن بما جاء به مُجَّد ﷺ، فكان الأحرى به أن يسأل أهل الكتاب، فاليهود لديهم التوراة فيها تفصيل الحق بدل أن يتصرف بهواه وجهله

ثم تبدأ الآيات بسرد بعض الحكم والأحكام والتي ترد على عقيدة الذين يظنون بإمكانية الافتداء من عذاب الله

﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾.

لا أحد يؤاخذ بجريرة غيره، ولا أحد يتحمل عن أحد شيئا..!

كل مجرم يؤخذ بجريرته، وكلا سيجزى بما عمل

قال تعالى: ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾.

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾.

نكمل اللآيات: ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى 39 وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى 40 ﴾

السعي هو العمل...

هذا العمل هو البضاعة التي ترحل بها إلى الآخرة، وهو العربون الذي تقدمه بين يدي ربك، هو الطائر الذي يلزم عنقك

قال تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَايِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً﴾

والنبيﷺ أخبرنا بأن العبد يقدم على ربه يوم القيامة فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدّم وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة.

ومن رحمة الله بنا أن ميزان الأعمال عند الله تؤثر فيه الذرة...

قال تعالى : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾

لذا لا تحقرن من المعروف شيئا...

ومن أعظم أبواب الأجور باب العلم، فأجره مستمر لا ينقطع وهو طريق إلى الجنة بل هو من الجهاد في سبيل الله وفيه الكثير والكثير من الأجور والنفع للمسلمين..

دعم مدارس التحفيظ والمعاهد العلمية، كفالات طلاب العلم ومعلمي العلم، كفالة الدعاة، دعم القنوات الإسلامية التي تدعم السنة وتحارب البدع، طباعة الكتب والمصاحف...

⇦ فيا ياعبد قدم واعمل، ولا تحقِرنَّ عملاً ولا حسنةً مهما كانت صغيرة فلا تدري بأي حسنة ستدخل الجنة ..!

فالآخرة دارٌ لا تصلح للمفاليس... نعوذ بالله أن نكون منهم..!

ثم تأتي الحكمة التي بعدها..

﴿ وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى 42 وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى 43 ﴾

كل شيء مرجعه ومنتهاه إلى الله، يرحم من يشاء ويعاقب من يشاء، وهو الذي خلق الفرح والحزن والسرور والغم....

وهذه الآية تدل على وحدانية الله سبحانه وتعالى....

وهذا مفهوم مهم جدا أن نتفقده في قلوبنا ونذكر أنفسنا به...

1-أن الله هو الذي أضحك وأبكى، وهو الذي أسعد وأشقى، وأن السعادة الأبدية ليست بالزوج ولا بالأولاد ولا الأموال ولا السفر إنما السعادة كل السعاد في اتصال القلوب بالله ...ولا سعيد إلا من أسعده الله..

ولن تطيب معيشتنا ولن تستقيم أمورنا وتنصلح أحوالنا ونفسياتنا وأمزجتنا المتعكرة مالم نحسن الصلة " من لم يجعل لله مكانا في قلبه فلن يكون للسعادة في قلبه مكان ..."

2-طالما عرفنا أن الله هو الذي خلق الفرح والحزن والسرور والغم والموت والحياة وهو الذي يغني من يشاء ويفقر من يشاء ويعطي من يشاء ويحرم من يشاء كل هذه المعاني تزيدنا توحيدا ويقينا باننا ملك لله وأن الأمر كله بيد الله..

الحياة لله، الأولاد لله، المال لله، الزوج لله، الأعضاء لله، فلو فقدنا مافقدنا فلله مأأخذ وله ماأعطى...

⇦ وهذا هو معنى الكلمة التي دلنا عليها رسول الله ﷺ أن نقولها عند الفقد والمصائب والفجائع (إنا لله وإنا إليه راجعون)...

الذي أعطى هو الله والذي أخذ هو الله وليس للمؤمن إلا أن يرضى بالله وعن الله وأن يستغني به عن كل شيء، ففي الله عوض عن كل فائت..

والقلوب إذا تسلت بالله ارتاحت، اطمأنت، سكنت، هانت عليها المصائب و الأحزان ،

﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى ﴾.

هذه الآية ترسخ وتقوي توحيدنا من ناحية الرزق وكلمة الرزق تشمل أرزاق الأبدان "مأكل، مشرب، مال، مسكن...."

وأرزاق القلوب "هداية، صلاح، إيمان..."

جميع الأرزاق التي كتبها الله لنا من مأكل ومشرب، من حب وبر، من إحسان من مال كل أرزاقنا لن تتخطانا وتذهب إلى غيرنا

﴿ يا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾.

الرزق يطلب العبد كما يطلبه أجله..

لاتخف على رزقك ...الله خلق الخلق وضمن لهم أرزاقهم وتكفَّل بهم..

من الذي يرزق الدواب والطيور؟ من الذي يرزق من في السماء ومن في الأرض؟

إنه الله سبحانه وتعالى .... المسألة فقط تحتاج إلى يقين..

إبراهيم عليه السلام يضع أحب الناس إلى قلبه، ابنه الذي انتظره كثيرا، يضعه وأمه هاجر في واد غير ذي زرع صخور صماء لاتنبت، أرض غير زراعية ومامعهم شيء..! ومع ذلك دعا لهم بالرزق..

ولنتأمل بأي رزق دعا..؟ وماذا قدم..؟

﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾.

بدأ بأرزاق القلوب ...

قبل أرزاق الثمرات والحقول والبساتين...

وختم دعاؤه أيضا بحسن ظن قوي ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ﴾.

وماعلاقة هذه الدعوة بالرزق واليقين؟ يارب كما رزقتني الذرية وأنا في سن لا إنجاب فيه فحسن الظن بك يارب أنك ستعطي ذرية الثمرات ولو كانوا في غير ذي زرع..

إنه اليقين بالله ... أصلٌ من أصول التوحيد.

مفاهيم في الرزق:

أ) يصور لنا النبيﷺ رزق الطير وهو من أعجب الرزق فيقول: [لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا][1].

الإنسان إذا خرج من بيته صباحاً يخرج مطمئناً يعرف إلى أين سيذهب وإلى أي مكان سيتجه وكم سيحصَّل من الراتب والعائد ..! بينما الطيور تخرج من أعشاشها بدون تحديد ولا تخطيط حين تخرج وطارت لاتدري إلى أين ؟

تخرج حواصلها خاوية، جائعة تبحث عن الرزق ، تبحث عن الوجهة

ولا اعتماد على مكتب أو مؤسسة أو تجارة ... فقط على الرزاق ذي القوة المتين الذي ضمن لها رزقها ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِى الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾.

الله سبحانه وتعالى لم يخلق الخلق ثم تركهم عبثا، بل خلق الخلق وقام عليهم ﴿ الحى القيوم﴾.

قام على تدبير امورهم ....وهدايتهم إلى أرزاقهم ...

لذا ياابن آدم:

1-لا تستبطىء رزقك .. فإنك إذا استبطأته قد تطلبهُ بحرام.

---

[1] رواه أحمد والترمذي.

يقول ﷺ :[ولا يحملنكم أستبطاء الرزق على أن تأخذوه بمعصية الله فان ما عند الله لا ينال الا بطاعته][1].

- اللبس العاري والنمص وإبراز الجمال والبشرة والجسد ، والعلاقات المحرمة لن يُسرع في قدوم العريس...!

- الرشاوي من هنا وهناك لن تفتح لك باب العمل...!

- النفاق والتملق والكذب لن يقرب لك الرزق ...!

بل إن كل هذه الأمور هي إغلاق لأبواب الرزق عليك، وحتى لو جاء الرزق لن يبارك لك فيه..!

2- ليس من المهم أن تعرف صفاتك، بل اعرف صفات الرب الذي اعتمدت عليه.

فكر في قوة الرب الذي ستدعوه والذي ستطرق بابه ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ﴾.

هذا الرب الذي توكلت عليه هو الحي سبحانه وبحمده حياة كاملة لايسبقها عدم ولا يعقبها زوال.... وبقدر إيمانك بحياة ربك الكاملة وقيوميته الكاملة يكون توكلك وتفويضك وطمأنينتك على رزقك

3. كل الذين حولك من البشر، من الخلق، هم فقراء لا يملكون لأنفسهم شيئاً فلا تعلق قلبك بهم .. ولا تركن إليهم..!

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ؟ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾.

4. لو فر أحدكم من رزقه.. أدركه رزقه كما يدركه الموت فلن تموت نفس حتى تستوفي رزقها...

5. دائما دائما المؤمن يغلب حسن الظن بالله والنظرة التفاؤلية، النظرة الإيجابية وهذه النظرة هي التي تقويك وأنت في أحلك وأشد وأصعب المواقف

---

[1] رواه البزار (312/2) صحيح الترغيب.

لو انتقلنا لسورة مريم، تصور لنا الآيات مشهد الولادة بعسره ، وآلامه وتعبه مع ماينتظرها من كلام البشر واتهاماتهم ونظراتهم ...

كرب شديد ولحظات عصيبة و أحزان متتابعة ومع ذلك..

تسمع صوتاً من تحتها يناديها: ﴿ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾.

قبل أن يقول لها : ﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾.

هزي قلبك وانفضي عنه الأحزان والآلام وترقبي الفرج إنه حولك، قريبٌ منك ، إنه عند قدميك...!

فلا تحصر نفسك في زاوية الألم فقط... لا تحصر نفسك بباب واحد من الرزق فإن لم يحصل اسودت الدنيا في نظرك..! كن متفاعلاً .. بعيد النظر ..واسع الأمل ... افتح لنفسك الأبواب ..

افسح حتى يُفسح لك ولا تُضيّق حتى لا يُضَّيق عليك....

مثل هذه المعاني الإيمانية مطلوب من المؤمن أن يذكرّ بها نفسه ويسقى بها قلبه حتى تتعمق جذورها فيه فيقوى توحيده ويرتقي إيمانه وتصنع فيه إنساناً جديداً...

ثم جاء ختام السورة....

فإذا كان هذا الرب العظيم هو الخالق لكل شيء والرازق لكل شيء والمدبر لكل شيء وإليه المنتهى فبأي حق يتوجه العبيد إلى عبادة غيره؟

وجاء التنديد على مشركي العرب الذين كانوا يعبدون الأصنام التي ذكرت في أول السورة اللات والعزى ومناة وطائفة منهم كانت تعبد الملائكة وطائفة تعبد النجوم والتي منها الشعرى...

وكل هذه معبودات باطلة، الله وحده الإله المعبود هو رب الملائكة والنجوم والكواكب ورب كل شيء

وكل هذه المخلوقات تسير مقهورة في ملكه بأمره وسلطانه...

ثم ذكرهم بالعذاب الذي سيصيبهم كما أصاب من قبلهم من الأمم...

قوم عاد وثمود وقوم نوح الذين كانوا هم أظلم وأطغى لماذا؟

بسبب المدة الطويلة جدا التي بقي نوح عليه السلام يدعوهم فيها ألف سنة إلا خمسين عاما.. ومع ذلك ماآمن معه إلا قليل..!

والمؤتفكة وهم قوم لوط لأن الله قلبها عليهم رأسا على عقب وجمع الله عليهم الخسف والرجم والعياذ بالله

﴿ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى﴾ : سقطت في الهاوية

﴿ فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى﴾ : التغطية هي التغطية اشارة إلى ماتراكم عليها من الرجم بالحجارة ... وهذا الإجمال والإبهام يدل على هول ماوقع لهم

﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى ﴾ أيها الإنسان بعد كل ماعرفته من صفات ربك من الخلق ، الرزق، التدبير، العطاء، الإحياء، الإماتة

بعد ذلك بأي حق تشك؟ أو تنكر أو تكذب وتنسب صفاته سبحانه إلى غيره...

⇦ ثم ختمت السورة ختاما قويا جدا، ونذارة شديدة جدا....

﴿ هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى 56 أَزِفَتِ الْآزِفَةُ 57 لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ 58 ﴾.

اقتربت القيامة ، حتى ضاق وقتها... اقترب وعد الله...

ولا ملجأ لكم من الله ...

ثم وجه الخطاب لهم:

﴿ أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ 59 وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ 60 وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ 61 ﴾

وأنتم مازلتم لاهون ، غافلون، تضحكون ولا تلين قلوبكم

﴿ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا 62 ﴾.

ثم من مقام العبودية أمرهم ⇦ اسجدوا للذي خلقكم، لا تعبدوا غيره، اخضعوا واسجدوا لله قرأها رسول اللهﷺ عند البيت، ومن قوة هذه الآيات وشدتها ووقعها في القلوب سجد كل من سمعها من المسلمين والمشركين إلا أمية بن خلف لم يسجد .. وقد قُتل كافرا والعياذ بالله...!

وهكذا انتهينا من سورة النجم

الحمد لله على التمام . . . . والحمد لله على الكمال . .

ونسأل الله القبُول . . .